عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 115 / 16 نيسان 2018

استراحة للدفاع المدني - ريف حلب الغربي

عدسة أحمد عزيزة - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

بروباغندا موسكو الكيماوية.. هيستيريا إنكارية وتلفيقات تائهة

قبل أن يُتاح لذوي شهداء مذبحة الهجوم الكيماوي في دوما استيعاب موتهم الفجائعي ودفنهم، بل وحتى قبل أن تبرأ أنفاس أطفال المدينة من أثر غازات الأعصاب والكلور، انطلقت ماكينة البروباغندا الروسية بسعار لم يتوقف حتى اليوم، وهيستيريا إنكارية، لتبرئة ساحة نظام بشار الأسد من جريمة لايحتاج عاقل إلى لجان تحقيق ومختبرات للتوصّل إلى قناعة أنّه وحده القادر على ارتكابها، وأنّه وحده صاحب المصلحة في حدوثها.

فشلت أوركسترا التزييف المعتادة في إنتاج تجانس بين ضفتيها الروسية والسورية، فبينما أطلقت البروباغندا الروسية حملة واسعة النطاق لإنكار حدوث الهجوم، نشبت في الجانب السوري احتفالات التشفي بـ«الحاضنة الشعبية» للمسلحين. وفي حين كان على المسؤولين الروس، بداية بمتحدثة وزارة الخارجية التي تُحوّل كلّ قضية إلى مناكفة شخصية مع نظرائها الأميركيين، وصولاً إلى بوتين نفسه، أن يجدوا مسارات متّسقة لتمرير أكاذيبهم وإنكاراتهم، فقد خيّم الصمت في معسكر النظام قبل أن ينجرف لتكرار حرفيّ لكل ما تُورده موسكو من حجج.

اتُّهم سكان الغوطة بتخدير أطفالهم لتمرير صور الهجوم، وصيغتْ أفلامٌ بإخراج متقن للإيهام بفبركة الهجوم، قبل أن ينكشف للعالم -بسبب رعونة إدارة التزوير- أنّ الأمر فبركة تشبيحية قذرة.

وحين ثبتت صور الأطفال مُختنقين بغاز قاتل في ذاكرة البشر، أعادت موسكو تلفيق الحكاية ليصبحوا ضحايا هجوم كيماوي بالفعل، لكنّ من قام به هذه المرة هم مسلحو جيش الإسلام، قبل أن يعود الكرملين إلى «الخوذ البيض» عدوه المفضل في سوريا، فأصبح المنقذون هم القتلة، وأهالي الضحايا مُتواطئون، والعالم كلّه إلا بشار الأسد مجموعة كاذبين.

تحت وطأة التهديدات بالضربة الغربية تاهت بوصلة التلفيق الروسية، تارة لا هجوم ولا ضحايا، وتارة لا أدلة ولا غازات، وأُخرى تلويح بقيام الحرب العالمية الثالثة على جثث أطفال اختنقت بالسارين، إن عوقب الأسد.

وفي حمأة الهستيريا الإنكارية بدا أن موسكو تريد من مجلس الأمن أن يُحقق في هجوم لم يحدث، دون أن يتهم أحداً، ولا أن يتوصل إلى خلاصات، وعلى العالم كلّه أن يُذعن لافتراءات تقوم على أن من قتلهم الأسد لم يكونوا موجودين يوماً.

3 كيف يبدو المشهد في مدينة الرقة؟

4 معظم أطفال مخيم الركبان بلا تعليم

6 منبج ودور العشائر في تحديد مصيرها

9-8 روسيا تفوز بالفوسفات السوري والفتات المشع لإيران

12 أخي المعتقل وبرنامج يا حرية

15-14 في بيروت.. تحرش عابر للحدود

16 «6 إلا ربع» والباماياء والجسر المعلّق

19 محافظ دير الزور الذي أغاظ شبيحة الغاب

AFP

تغيب الرقة التي كانت عاصمة داعش وأكبر معاقله، منذ سيطرة قسد عليها قبل ستة أشهر، عن المشهد نوعاً ما، باستثناء بعض الأخبار التي تتحدث في كل مرة عن ضحايا مدنيين قضوا بانفجار ألغام من مخلفات القصف والمعارك، والكثير من أعمال السرقة.

كيف يبدو المشهد في مدينة الرقة بعد نصف عام على سيطرة «قسد»

سعيد غزول

«لم تستعد المدينة عافيتها، فالبيوت مُدمرة، والشوارع مكتظة بالركام، وسط حياة تعود ببطء شديد، في ظل تخاذل وتضييق تمارسه قسد»، يقول حازم أحد سكان المدينة الذي عبر عن شعوره بالخذلان بعد أن تخلّى العالم بأسره عن المدينة وأهلها، فكل وعود قسد بإعادة إعمار المدينة كانت «آمالاً خائبة».

الألغام قتلت نحو 300 مدني منذ سيطرة «قسد»

الألغام الكثيرة التي خلفها التحالف، وتلك التي زرعها داعش قبل انسحابه من المدينة أودت بحياة 300 مدني وأصابت مئات آخرين بجروح خطيرة، بينها حالات بتر أطراف. بعض الضحايا قضوا بانفجار قنابل عنقودية، فيما قضى 80 % منهم بانفجار ألغام أرضية زرعها داعش، ثلثي تلك الإصابات كانت تنتهي بالوفاة قبل وصولها إلى المشفى لخطورة الإصابة، على حد قول أحد الأطباء في مشفى الرقة.

لم تنفع مطالبات الأهالي لـ قسد بتسريع وتيرة نزع الألغام، ولا تلك الدعوات بمحاسبة المقصرين وفتح تحقيق محايد حول أسباب التأخير، ما دفع الأهالي «لدفع مبالغ تصل إلى 600 دولاراً لـ فرق إزالة الألغام للكشف على منزل أو محل تجاري»، يقول حازم الذي يرى أن من ينجو من الألغام فأمامه عصابات الخطف والسرقة التي ملأت المدينة، دون تحريك ساكن من قسد.

عمليات «تعفيش» منظمة تشهدها مدينة الرقة

«عصابات منظمة» تدير عمليات اختطاف المدنيين لـ طلب «فدية مالية» مقابلهم، وعمليات التعفيش المنظم من قبل قياديين وعناصر تابعين لـ «قسد»، طالت حتى الأجهزة والمعدات الطبية من العيادات الخاصة التي نجت من القصف رغم حاجة المدينة إليها. عصابات «السرقة» هناك، تحوّلت مِن سلب ونهب الصيدليات والمحال التجارية ومخازن الحبوب وسرقة السيارات على مختلف أنواعها، إلى «تعفيش» منازل المدنيين بشكل كامل، وفق ما ذكر «حازم» الذي أكّد أن المسروقات تُجمع في مستودعات تابعة لـ «قسد» شرقي مدينة الرقة، تمهيداً لـ نقلها إلى أسواق التصريف في مناطق سيطرتها بريف الحسكة وشرق حلب.

عدا عن أعمال السرقة في مدينة الرقة، فإن «قسد» ما زالت تفرض ضرائب على الأهالي القادمين مِن مخيمات النزوح المحيطة، رغم الغياب الكلّي للخدمات وموارد العيش الأساسية في المدينة، فضلاً عن منعها للسكّان بإعادة ترميم منازلهم المدمّرة إلّا بعد دفع «ضريبة إعادة الإعمار»، كما هدّدت -حسب موقع الرقة تذبح بصمت -بمصادرة معدات ورشات البناء، في حال لم يدفعوا «الإتاوات» المفروضة عليهم.

انتهاكات أخرى لـ «قسد» في مدينة الرقة

عمليات «التعفيش المنظّمة» لـ «قسد» (التي تشكّل «وحدات حماية الشعب»YPG -مكّونها الرئيسي)، لم تكن وحدها التي أرهقت سكّان مدينة الرقة، بل وصل الأمر إلى الاستيلاء على ممتلكات المدنيين تحت ذريعة انتماء أصحابها لتنظيم الدولة، حيث صادرت مئات المنازل والمزارع والمحال التجارية، فضلاً عن عمليات التهجير «القسري» لـ أولئك المدنيين. ساهم في ذلك «ضياع وتدمير السجلات في المدينة، ودمار أكثر من ثلثي المباني فيها»، بحسب ما نقله وفد الأمم المتحدة الذي تمكن من دخول الرقة في مطلع شهر آذار الفائت، والذي وصف مهمته بـ «الصعبة بسبب القيود على التحركات، وضعف الاتصال والتوترات التي تشهدها المدينة».

ولم يقتصر الأمر هنا على مدينة الرقة فحسب، بل امتد لمعظم مناطق سيطرة قسد في ريف الرقة، مِن مدينة تل أبيض شمالاً حتى مدينة الطبقة جنوباً، والذي شهد عمليات استيلاء لمنازل المدنيين، وتهجيرهم إلى المخيمات، واعتقال بعضهم بتهم الانتماء لـ تنظيم «الدولة»، وفرض التجنيد «الإجباري» على آخرين.

وأصدرت بذلك «الإدارة الذاتية» (التي يهمين عليها «حزب الاتحاد الديمقراطي PYD-) تعميماً يفرض على كل مدني ولد بين عامي 1990 و1999 مراجعة مركز «واجب الدفاع المدني» في مدينة الطبقة (المركز المخصص لاستقبال الشبان الملتحقين بالتجنيد القسري). رافق ذلك احتجاجات ومظاهرات من قبل الأهالي على القرار، تطورت إلى اشتباكات مع «لواء ثوار الرقة» المكون العربي من أبناء المدينة.

تزامناً مع هذه التفاصيل، نقل مجلس الرقة المدني التابع لـ «قسد»، مقرّه مِن بلدة عين عيسى إلى ثانوية «ابن طفيل» في مدينة الرقة، وسط ترجيحات بأنه يسعى إلى إعادة الحياة للمدينة، إلّا أن «حازم» يقول، إن الوقائع الفعلية على الأرض تُشير إلى عكس ذلك تماماً، فالمياه ما زالت مقطوعة في معظم أحياء المدينة، فيما تغيب الكهرباء نهائياً عنها، وتفتقر الأحياء للخدمات الأساسية اللازمة لعودة الحياة.

كل هذه الظروف تضع عشرات آلاف النازحين بين خيارين، إما البقاء في مخيماتهم بظروفها القاسية، أو العودة إلى المدينة رغم انعدام الأمن ودعم المنظمات، ويزيد على ذلك ابتزازهم من قبل قسد، وتقييد نشاطاتهم ومحاولاتهم بإعادة الحياة الطبيعية إلى مدينتهم.

معظم أطفال مخيم الركبان بلا تعليم
مدارس أهلية بسيطة وغياب المنظمات

محمد حسن العايد

يحثّ أحمد الخطى باتجاه ورشة والده لإصلاح كهرباء السيارت، بعد انتهاء دوامه المدرسي كل يوم، ليقدم له العون من أجل تأمين قوت يومهم في مخيم الركبان على الحدود السورية مع الأردن، بالتزامن مع متابعة تعليمه في مدرسته ليعوّض ما فاته بعد انقطاع عنه لمدة عامين، منذ نزوحهم الأول من مدينة تدمر بريف حمص الشرقي، لكنه أفضل حالاً من باقي الأطفال.

الطفل أحمد كان في الصف الثاني الابتدائي من المتفوقين في مدرسته بتدمر، قبل منتصف 2015، لكن نزوح عائلته بعد سيطرة تنظيم «الدولة الإسلامية» وقتها على مدينتهم، والذي استمر لنحو عامين من التنقل بين العديد من المدن والبلدات بمناطق متفرقة انتهى باستقرارهم في مخيم الركبان- فرض عليه الانقطاع عن التعليم لحين افتتاح مدرسة «البيت التدمري» مطلع العام الفائت بالقرب من حيّه الذي تقطن به مئات العائلات المنحدرة من مدينة تدمر، في المخيم الذي يصل عدد ساكنيه إلى 90 ألف نازح معظمهم من مدينتي تدمر والسخنة في حمص، ومن القرى والتجمعات السكانية في بادية الشام، إضافة لنازحين من المحافظات الشرقية وحماه.

يأبى أحمد شاهين ذو العشرة أعوام إلا أن يكون له دور في تحمل أعباء المعيشة القاسية هناك، رغم حداثة سنه، ويقول عن سبب ذهابه إلى الورشة «إنّ والدي مصاب بالديسك في رقبته وظهره، ولا بد لي من مساعدته، فأنا أكبر أخوتي الأربعة، رغم تحذير والدي من تراجعي في الدراسة، وربطِ ذلك بمنعي من العمل، وهذا ما يدفعني للمثابرة في الدراسة لأجل استمراري في مساعدته بالعمل».

ويطمح أن يُكمل تعليمه ليكون طبيباً ناجحاً في المستقبل من أجل أن يعمل في المنظمات الطبية لمعالجة النازحين واللاجئين في المخيمات بكل مكان في العالم، متمنياً أن يعود إلى مدينته ليرى منزله الذي ترعرع به وأصدقاء طفولته من أبناء حيّه، بعد أن فرّق النزوح شملهم.

مدارس بدائية بجهود أهلية

يُعدّ الركبان من المخيمات العشوائية التأسيس، لكن هذه العشوائية لم تُفلح بالتفريق بين تجمعات خيام النازحين وفقاً لانتماءاتهم العشائرية أو حتى المناطقية، التي حكمت تلك العشوائية وخلقت لها منطقاً اجتماعياً، وعلى هذا الأساس تنافست مكونات المخيم على إنشاء مدارس من الخيام أو بناء الطوب الطيني، وفق انتشار هذه المكونات، فهناك «مدرسة الخالدي» التي تقع وسط خيام نازحي عشيرة بني خالد بإدارة معلمة تنتمي لذات العشيرة، وكذلك مدرسة «البيت التدمري» والتي تُديرها معلمة منحدرة من مدينة تدمر، إضافة لمدرسة «أبناء مهين» التي تتوسط خيام نازحي بلدة مهين.

«فللتعليم قدسية لدى السوريين بشتى انتماءاتهم العشائرية أو الحضرية»، وفق محمود زكريا منسق أعمال مدرسة «البيت التدمري» التي بلغ عدد طلابها نحو 640 طالباً وطالبة، والذي أكد أن «هذا التوجه في تسمية مدارس المخيم لا يدل على التعصب للقبيلة أو المنطقة من مؤسسيها، فهي متاحة لكافة أبناء نازحي المخيم مجاناً، رغم عدم حصولها على دعم المنظمات المعنية». ويُشير زكريا بحديثه إلى وجود عدد من المدارس التي لا تحمل أسماء المناطق أو العشائر، كمدرستي «براعم الأمل» و «جسور الأمل» المدرسة الوحيدة في المخيم التي تتلقى التمويل من منظمة إنسانية تحمل ذات الاسم.

دور اليونسيف وغياب المنظمات المعنية

مديرة البرامج والقوى البشرية في شركة (عالم أفضل)، المعنية بإيصال دعم منظمة اليونسيف فرع الأردن من (المناهج والقرطاسية) إلى مدارس مخيم الركبان، صفاء سراج تلاحظ ازدياد عدد الفصول الصفية في المخيم حتى الخمسين، وكذلك ارتفاع أعداد الكوادر التربوية لنحو 125 معلماً ومعلمة هذا العام، وذلك بعد تقديم اليونسيف المنهاج التعليمي للمرة الأولى هذا العام لـ 2800 طالباً وطالبة، إضافة لتقديم القرطاسية للعدد ذاته في وقت لاحق.

ويشمل «منهاج اليونسيف» كتب (اللغة العربية، الإنكليزية، الرياضيات، العلوم، الجغرافية، التربية الدينية) للمرحلة الابتدائية، وهي كتب مُختصرة قياساً بالمنهاج السوري، لذلك يعمد المعلمون أحياناً لاعتماد بعض الكتب من المنهاج التربوي السوري إضافة لكتب اليونسيف.

وتجاوز عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس ضمن المخيم مؤخراً الـ 4713 طالباً وطالبة وفق سراج، مشيرة لاقتراحهم مؤخراً إنشاء مدارس جديدة تقوم باستيعاب الفصول الصفية حديثة المنشأ بالمخيم، والسعي لتأمين الحد الأدنى من أجور المعلمين لمساعدتهم على الاستمرار والعطاء ضمن الظروف القاسية التي يكابدونها في المنطقة، ومن أجل تنظيم العملية التربوية هناك.

وتضمن المادة 26 من ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان حق أفراد المجتمع بالتعلم، حيث جاء فيها أن «لكلّ شخص حقٌّ في التعليم. ويجب أن يُوفّر التعليمُ مجّانًا، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليمُ الابتدائيُّ إلزاميًا»، وعلى الرغم من هذا الحق إلا أن المخيم يشهد غياباً ملحوظاً لدور المنظمات المعنية في دعم المدارس، في ظل الحصار الذي يشهده نازحو المخيم من قوات النظام وميليشياته المنتشرة بمحيط ما يعرف بمنطقة الـ 55 كم التابعة للتحالف الدولي، والخاضعة لاتفاق خفض التصعيد جنوب شرق سوريا من جهة، وإجراءات الجانب الأردني الصارمة بالتعامل مع ملف نازحي الركبان من جهة أخرى.

هذا التقرير خاص - خاص بالإذاعة ترجمة وتحرير

يوم كان الوصول للحسكة حلماً لأبناء ديرالزور

مخيم رجم صليبي - خاص عين المدينة

حسن القاسم

قبل أيّام تواصلت مع «عبد الله» مجدّداً، لأعرف ما آلت إليه حال أسرته بعد أشهر عديدة من خروجهم من ديرالزور، فيقول إنّها تمكّنت من الدّخول إلى مدينة الحسكة بعد إجراء معاملة كفالة عن طريق قريب لهم من الدرجة الأولى. وهم يواجهون اليوم مشاكلَ من نوع آخر، أفرزتها سنواتٌ عديدةٌ من الحرب وتبادل السيطرة الذي شهدته محافظة ديرالزور، لكن قصة الأسبوعين اللذين قضاهما مع أهله في مخيم رجم صليبي تركت أثراً لن تمحيه بسهولة كل الشعارات والخطب. فعند ذلك الوقت ترسّخ (الآخر).

بعد رحلةٍ طويلةٍ استغرقت أربعة أيام في البادية، وصلت خمسون أسرةٍ من ريف ديرالزّور الشرقي إلى بادية رجم صليبي جنوب شرقي الحسكة، بينهم عبدالله (اسم مستعار)، عند الحاجز الذي أقامته وحداتٌ من قوّات «الأسايش» الكرديّة فوق تلّةٍ تُشرف على المكان. رفض العناصر إدخال الأسر التي أنهكها الضياع والخوف، لعدم امتلاكهم تصاريح بالعبور أو الإقامة في الحسكة التي تدير ميليشياتٌ كرديّة معظم أرجائها.

كان أدعى للأمان أن تتقدّم النّساء دون الرّجال للتحدّث إلى العناصر: «دعونا نمرّ إلى أيّ مكانٍ فيه خيمةٌ وماءٌ وطعامٌ للأطفال؛ الشّمس حارقةٌ، ومعنا رضّعٌ عاشوا في البراري كل أيامهم القلال، إن سلمنا من حرّ الشمس والعجاج لاحقتنا العقارب، وربّما هُوجمنا من داعش الذي يُغير على المنطقة بين فينةٍ وأخرى». إلّا أنّ الجواب الدّائم الذي قد يأتي بعد أكثر من عشر مناشداتٍ تخالطها الدّموع، وبعربيّةٍ مكسرة: «ارجعن محل ما كنتِن». أمّا الرّجال فلا يجرؤون على التّقدّم نحو التلة، لأنّ صوت البنادق سيُصرّح فوراً بأنّها أخذت وضعيّة الإطلاق.

يقول عبد الله: «بعد يوم من الانتظار، تسرّب هاتفٌ جوّالٌ إلى المكان الذي بات سجناً صحراويّاً تُديره ميليشيا تتكلم بالدّيمقراطيّة والتّعدّديّة ودولة المساواة واحترام حقوق المرأة، بينما تَحتجز خمسين عائلةٍ ذنبها أنّها (الآخر)، لا هي تعطيهم تصاريح بالعبور إلى الحسكة، ولا هي تنقلهم إلى مخيّمٍ آمن». يتوقّف «عبدالله» ليشرح «أردت استبدال وصف الآخر بكلمةٍ أخرى، أو أن أُبين لماذا هم الآخر علّني أجد سبباً يُفسّر احتجاز هؤلاء النّاس. لم أُفلح، فقلت هم الآخر».

«الشبكة لم تكن متوفّرة، فسجّل البعض رسائل نصّيّة قصيرة، وأرقام هواتف جوّالة لأقارب لهم في الحسكة أو بعض مدنها وقراها، يُحدّدون فيها مكانهم»، تضمّنت الرسائل الفحوى عينه (مازلنا أحياء في رجم صليبي، ربّما ليس إلى وقتٍ طويل، أخرجونا من هنا). نقل صاحب الجوال الرّسائل، ونقل معها دقائق معدودة من الطمأنينة، يليها قلقٌ وخوفٌ بلا حدود.

يقول عبد الله: «تواصلت مع العشرات؛ قياديّين وزعماء ومُمثّلين سياسيّين وصحافيّين من أجل أُسرتي العالقة، أحدهم كان قياديّاً، سألني عن الضامن بأن لا يكون أهلي من تنظيم الدّولة!». تتغيّر ملامح عبدالله حين يصل إلى هذه النّقطة من حكاية أهله «في الحقيقة جرتُ كثيراً، كيف أردُّ عن أمّي التي تقارب السبعين هذه التّهمة!، كيف أردّها عن «أحمد» و«عبود» أولاد إخوتي الصّغيرين، أحسست بالقياديّ يشتمني بالقول يا بن الدّاعشيّة. تعثّر في فمي الكلام، فأجبته: «أستاذ عم قلّك هي أمي!».

الحوار أشبه ما يكون بالتّذلل إلى رجلٍ قوي، نفس التذلّل الذي كان يرافق حوارات السّوريين مع عناصر مخابرات دولة الأبد منذ عقود مضت. يُواصل عبد الله: «طلبت منه فقط إدخال الرّضيعين حتّى لا يموتا، فوعدني خيّراً إن بعثت له برسالةٍ أشرح فيها وضع أهلي وعملهم وتاريخهم، فضلاً عن الوضع الصّحي للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 7 أيام و4 سنوات، ولأمي المسنّة المريضة».

عشرات النّاس ضاقوا ذرعاً برسائل ذوي المُحتجزين المُلحّة، فتوقّفوا عن الرّد. أحد المسؤولين الذين تواصل «عبدالله» معهم يشغلُ منصباً سياسيّاً رفيعاً في هيكليّة سوريا الديمقراطيّة، من أولئك الذين نراهم على الشاشات كلّ يوم، يشرحون طبيعة العمل المؤسّسي في «مجلس سوريا الدّيمقراطيّة»، كمثالٍ ناضجٍ لما يجب أن تكون عليه «سوريا المستقبل»، قال المسؤول صراحةً، بعد أن تلقّى عشرات المناشدات، إنّه ما بمقدوره أن «يمون» على عنصرٍ صغيرٍ يدير حاجزاً لـ «الأسايش».

قبل أن ينقضي أسبوعان على احتجاز الأسر الخمسين تقرّر إدخالهم على دفعات؛ فُرزت الأسر العالقة إلى مخيّمات متفرّقة (قانا، الكرامة، تل أبيض ومبروكة) وغيرها. كانت أسرة «عبد الله» برفقة أُسرتين ممّن تقرّر السّماح بدخولهم كدفعة أولى إلى مخيّم «قانا» القريب من الحسكة، والذي لا يختلف كثيراً عن صورة البؤس التي تستحضرها كلمة «قانا» في مخيّلاتنا.

كان آخر ما ذكره لي عبد الله عن التجربة أنّ أحد الذين توطّدت علاقته بهم خلال هذه الرّحلة كان ينظر نحوهم لحظة العبور، وقد فاض دمعاً، لم ينبس الرّجل قط، كان كلاماً من دموع: «لماذا ينجو أولادكم ويموت ابني». لا سيّما أنّ التّجربة القاسية شهدت موت غير مُسنٍّ ممّن لم يحتملوا الجوع وارتفاع درجات الحرارة والغبار الكثيف.

منبج ودور العشائر في تحديد مصيرها.. عودة لواجهة الأحداث من جديد

عدنان الحسين

كخلية نحل يعمل مجموعة من الضباط التابعين للتحالف الدولي المتواجدين في مدينة منبج، من أجل تمكين سيطرتهم وسيطرة حليفتهم «قوات سوريا الديمقراطية (قسد)» على المدينة، ذات الغالبية العربية، والتي أصبحت محور الأحداث خلال الأسابيع الماضية.

أربعة ضباط يُرافقهم أكثر من 12 عنصراً من القوات الأمريكية الخاصة، ومجموعة مرافقة من قوات قسد، تجولت في منبج وريفها، وجُهتها منازل شيوخ العشائر لحشد تأثير العشائر لصالحها، في ظل الحديث عن معركة مرتقبة للجيش التركي والجيش الحر باتجاه المدينة.

الجولات المكثفة لضباط التحالف، وسابقاً مسؤولين أمريكيين في منبج وريفها، لم تأت بثمارها حتى اللحظة، سوى بوعود فضفاضة من قبل شيوخ العشائر، والتي بات معظم أبنائها منظمين لتكتلات الجيش الحر في مناطق شمال حلب، وتحديداً جرابلس وريفها، في المنطقة التي باتت تعرف بمنطقة درع الفرات.

شيوخ العشائر ومراكز ثقلها يتركز في جنوب منبج وشرقها حيث تتمركز عشائر البوبنا والدمالخة، وشمالها البوسلطان والبني عضيد وبني سيعد، وذات الأسماء في المدينة التي يبقى للعشائر دور محوري كبير في تحديد مصيرها ضمن أي عملية انتقال للسلطة، فمازالت العشيرة هي الإدارة المحلية لكل منطقة تتواجد فيها، في ظل غياب سلطة القانون والدولة.

ومنذ سيطرة قوات قسد على المدينة، بدعم من التحالف الدولي، بدا للعشائر الدور الأكبر في مواجهة المحاولات المستمرة لقسد، ومن خلفها حزب الاتحاد الديمقراطي، الرامية للسيطرة التامة على مفاصل المدينة ومحاولة عزلها عن محيطها العربي، حيث عملت على ضمها لإقليم الفرات التابع للإدارة الذاتية كجزء من الفيدرالية المزعومة شمال شرق سوريا.

يتمحور دور العشائر في هذا الصدد من خلال فرض واقع مغاير لم تخطط له قسد في المنطقة، فعملت على تشكيل فصائل تابعة لها منخرطة ضمن قوات قسد، يمكن القول إنها تمكنت من خلالها من فرض مطالبها، كذلك منعت العشائر محاولات قسد في استدراج الفتيات لمعسكرات التجنيد عبر شعارات الديمقراطية وغيرها، وعملت على ضبط هذا الأمر كمجتمع محافظ. كما عملت العشائر، بشكل سري، على تنظيم نفسها ككيانات قادرة على زعزعة حكم قسد، بدليل المظاهرات الحاشدة والإضراب الكبير في المدينة، ودعوات لمحاسبة القتلة، والمطالبة بطرد قسد من المدينة وتسليم إدارتها للعرب والعشائر، بعد مقتل شابين تحت التعذيب على يد استخبارات قسد في بداية العام الحالي.

انتفاضة العشائر بدأت مع تصرفات عديدة كان أبرزها التجنيد الإجباري، واغتيال شبان بعد اعتقالهم، ومحاولة طمس الوجه العربي للمدينة، من خلال تسلّم معظم رجالات حزب الاتحاد الديمقراطي كافة مفاصل السيطرة على المدينة.

نقطة التحول في تاريخ مدينة منبج وعشائرها منذ بداية الثورة السورية وحتى اللحظة كانت المظاهرات السلمية ضد القوى التي سيطرت عليها، فمع سيطرة فصائل الجيش الحر تظاهر أهالي المدينة من أجل إفراغ المدارس من المقرات التابعة للفصائل، وتمكنوا حينها من افتتاح عدة مدارس لأجل تعليم أبنائهم.

وبانتقال منبج لسيطرة تنظيم داعش برز التحدي الأكبر لأهالي المدينة، إلا أنهم واجهوا موسوعة الرعب والخوف التي صدّرها التنظيم للعالم أجمع، بمظاهرات طيارة في المدينة رفضاً لحالات القتل والإعدام التعسفي بحق المدنيين تحت تهم وحجج كثيرة، واستمرت المظاهرات بعد سيطرة قسد على منبج بعد «حرب صورية» كما يصفها أهالي المدينة، فالمدينة التي تَناوب في السيطرة عليها الجيش الحر وتنظيم داعش ومؤخراً قوات قسد، كانت ولازالت، مستمرة بعمليات التظاهر السلمي في انتظار مستقبل لا يبدو واضحاً.

وفي العودة لدور العشائر في الحراك الحاصل في مدينة منبج منذ بداية الثورة السورية، فيمكن توصيفه بأنه دور متذبذب، فمعظم قادة العشائر سابقاً كانوا يحظون بدعم من قبل نظام الأسد، أو بعبارة أصح يخضعون لسلطته عبر ميزات يعطيها لهم، خاصة التواجد في مجلس الشعب وبعض المزايا الأخرى.

ومع بداية الثورة اتخذ بعض شيوخ العشائر فيها دور الشبيحة ودور المتفرج في قمع المظاهرات، إلا أن سرعة تحرر المدينة من سيطرة نظام الأسد، وانضمام آلاف المدنيين للمظاهرات، أجبرت العديد من قادة العشائر على الهروب لمدينة حلب وغيرها من المناطق.

المشاركة الكبيرة لأبناء العشائر في الثورة ومن ثم انخراطهم في صفوف فصائل الجيش الحر، أحدث انقلاباً كبيراً على نظام العشيرة، فتبدّل شيوخ العشائر ووجهاؤها بآخرين مؤيدين للثورة، قدّموا في سبيلها الكثير من الدعم، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً. فمع حلول عام 2014 وسيطرة تنظيم داعش على المدينة تبدّل وجه العشيرة مرة أخرى، فتوجه أبناؤها لتركيا وللشمال.

تنظيم الدولة الإسلامية، وضمن استراتيجية إعلامية ذات بروبوغندا دينية، وضمن سياسة الترغيب بالسلطة والجاه، استمال العديد من شيوخ العشائر في منبج وريفها، إلا أن قرارات التنظيم وتصرفاته أبعدت العشائر عن أي دور لدعم التنظيم في المنطقة، واقتصرت مشاركة شيوخ العشائر والوجهاء على اجتماعات دورية، أي كنوع من التّقية من بطش التنظيم وخوفاً من عقابه.

اليوم؛ يمكن القول إن قسد لا تملك أي حاضنة شعبية في مدينة منبج، فالمجتمع المنبجي المؤيد لدخول الجيش الحر من جهة، وبعض شيوخ العشائر المؤيدين لعودة نظام الأسد إليها من جهة أخرى، يتفقان على رفض وجود قسد في منبج، إلا أن المستقبل الذي يحيط في مدينتهم يُثير قلق الجميع.

قصص من مخيم الشبيبة في إعزاز حيث تُوشك الأمهات على بيع أبنائهن

محمد جلال

بعدسة الكاتب

تحدثتُ مع منى بعد أن علمتُ بأنها باعت ابنها ذي الستة أشهر مقابل مليون ليرة سورية. المشتري كان امرأة عاقراً لا تستطيع إنجاب الأطفال، والبائع أحد قاطني مخيم الشبيبة، المكان الذي يتخلى الإنسان فيه عن كل أحلامه ويدفنها إلى الأبد، والشهود خيام بيضاء عملاقة بثلاثة صفوف لو كان لها ذاكرة لتسجل ما قيل داخلها، أو لو أن لها إحساس بهموم من سكنوها لرأيتها منكمشة على نفسها تُحدق في السماء الواسعة بحثاً عن حل، كما يفعل السوريون في كل ليلة. حيث تصبح الذاكرة عبئاً والحنين حياة يومية، ويُصبح عدّ الأيام وإحصاؤها فرضاً جديداً.

الكلام هنا ليس عن أحد معسكرات الاعتقال النازية، بل عن مخيم الشبيبة في حي الصناعة شرق مدينة إعزاز المؤلف من عشرين خيمة قدمها الهلال الأحمر القطري، يتفاوت عدد قاطنيه وفقاً لمواسم الهجرة إلى الشمال، ويتعاون في خدمته عدد من المنظمات الدولية والمحلية، بإشراف من المجلس المحلي في إعزاز. ويعد أحد أهم مراكز الإيواء التي تستقبل النازحين الجدد أو الأغرار، قبل أن ينتقلوا لمرحلة النازح العادي الذي أصبح بإمكانه متابعة حياته دون أن يلتفت كثيراً إلى الوراء، فلا بد مهما تعودت أن تلتفت في لحظات انفرادك بنفسك إلى الوراء.

في هذا المخيم ينتقل النازحون من ماضٍ أسود يلفظهم إلى مستقبل أسود لا يقبلهم. من مدينة أو قرية تشبثوا بها حتى انتُزعت أظافرهم، إلى مدينة يصيبهم الرعب من احتمالية كونها نقطة اللا عودة. فإن كان من سنن الحياة ألّا عودة في الزمان، فلا عودة، منذ وضعوا رحالهم في هذا المخيم، إلى المكان. سيقضون أيامهم في هذا المخيم يلعنون هذا الزمان الذي جعلهم يتركون ذلك المكان، وكم لدينا من القصص في باقي المخيمات والمنافي.

في قصة منى تدخّل بعض الناس لمنع هذه الحماقة، وقاموا بإعادة الطفل لأمه، وتأمين عمل لها في المخيم على هامش المدينة مقابل مئة دولار أمريكي، كي لا تشتكي من الحاجة التي تقول إنها دفعتها لبيع ابنها. سألتُها عن أهلها فأجابت أنهم لا يعترفون بها بعد أن تزوجت ابن عمها رغماً عنهم. اضطر زوجها المقاتل في الجيش الحر لـ «تشويل» أبيها بمساعدتها، وأن يجبره على الرضوخ لرغبتهم. مات الزوج لاحقاً في إحدى المعارك وبقيت هي بدون مُعيل.

ما يعيشه المخيم ليس إلا نتاج الحالة المأساوية لساكنيه. فهم وصلوا للتو إلى ما يمكن وصفه مجازاً بشاطئ الأمان، بوجوه شاحبة وأبدان متعبة وجيوب فارغة. نال أكثرها تجار البشر من المهربين الذين سهّلوا وصولهم إلى هذه النقطة. أما القائمون عليه، فهم مجموعة من عمال المنظمات الإنسانية الذين يحاولون تخفيف معاناة النازحين بعد أن تأكد للجميع استحالة انتهاء هذه المعاناة في الوقت المنظور.

في مخيم الشبيبة قابلت الحاج أحمد، نازح أتى من الموصل برفقة عدد كبير من أفراد عائلته الشباب والنساء والأطفال، بعد أن نصحهم ضباط أتراك في معسكر (بعشيقة) شمال العراق بالتوجه إلى هذه المنطقة، ليتم إدخالهم إلى تركيا بعد ذلك. قطع أبو أحمد مئات الكيلومترات عبر مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، كما فعل مثله عشرات الآلاف من الموصل وكركوك وتلعفر. نجوا في هذه الرحلة من قصف التحالف الدولي، إلا أنهم فقدوا أحد أطفالهم عند مرورهم في حقل للألغام زرعها عناصر التنظيم لوقف هروب الناس من مناطقهم. دفنوا ابنهم ذي العشر سنوات في أرض غريبة ومضوا. «دفناه شمال دير حافر بأرض رمضان الموسى»، هكذا تردد أمه بشكل مستمر خشية أن تنام يوماً وتنسى أين دفنوه قبل أن يتابعوا المسير شمالاً.

وصلوا مدينة إعزاز مع وصول عاصفة ثلجية ساهمت في اكتمال المشهد التراجيدي، وتعقيد اللحظة المأساوية التي عرفوا فيها أن آخر رحلتهم الطويلة أبواب موصدة، وأن كل ما سعوا خلفه لم يكن إلا سراباً. يجلس أبو أحمد في المخيم، متمنياً أنه لم يولد حتى ليعيش هذه الأيام.

في زيارة أخرى لمخيم الشبيبة قابلت الشاب مهند، القادم للتو من ريف مدينة منبج، بعد هروبه من مناطق سيطرة تنظيم الدولة. مهند لم ينطق بحرف واحد، بل اكتفى بتحريك عينيه إلى كل الاتجاهات، وهو يرتجف كالمحموم، بينما تمسك يده اليمنى باليسرى كأنما يخشى أن يسلبها أحد منه. قال أصدقاؤه إنه يخشى أن ينزل عليهم الدواعش من السماء ليقصوا رأسه، لأنه هرب من مناطق سيطرتهم، ولا يستطيع أي أحد أن يقنعه بأنهم بعيدون جداً ليؤذوه. حتى أنه يظن كل من لا يعرفه أحد عناصر التنظيم المتخفين لحين اللحظة المناسبة. يهذي على الدوام بأسماء الأمراء والعناصر الذين يعرفهم في منطقته. كان هذا نهاره، فكيف تكون يا ترى لياليه، وكيف تكون كوابيسه؟

لعل علماء النفس لديهم عمل كثير لفهم السوريين بعد كل هذه الأهوال. فلكل سوري قصته ومأساته الخاصة.

أما منى فلدى استفساري عن سبب فعلتها مع أبيها أجابت بأنها «تحبه» أي زوجها، لم أتوقع إجابة أكثر إقناعاً من هذه الكلمة. وكما الأساطير كان على قصة منى أن تنتهي بخبر جهدتُ كثيراً للتأكد منه. المرأة العاقر التي اشترت الطفل حملت بشكل مفاجئ بعد أن أعادت الطفل لأمه.

روسيا تفوز بالفوسفات السوري والفتات المشع لإيران

فواز الفارس - مصطفى أبو شمس

تتموضع تكشفات خام الفوسفات السوري في مكامن الشرقية وخنيفيس على أعماق وسطية تقدر بـ 20 متراً، وبسماكة خام تصل حتى 25 متراً وسطياً، بمساحة مقطع مدروس 68 كيلو متراً مربعاً في الشرقية و63 كيلو متراً مربعاً في خنيفيس، وفق دراسة مسحية أجرتها المؤسسة العامة للجيولوجيا.

هذا التموضع يكشف عن مبالغ هائلة من الدولارات تقدر بـ (ميزانية سوريا لـ 55 عاماً)، وتتزاحم عليه الدول الحليفة لنظام الأسد كحصة لها من الحرب السورية الساعية لتثبيت الأسد في الحكم، لضمان حقها في اتفاقيات غامضة غابت تفاصيلها وبنودها، وظهرت على شكل وجود عسكري لتلك القوى في هذه المناطق. لتحصل روسيا على المناجم الأهم في الشرقية، وتكتفي إيران بما يحمل في طياته (الفلزات المشعة) من خام الفوسفات في خنيفيس، بينما يُسترضى حزب الله بـ حصة من خلال شركة بيار فتوش، ويغيب الشعب السوري عن هذه الاتفاقيات ليبقى تحت خط الفقر.

الصراع على الفوسفات (اتفاقيات متناقضة)

لم يتوقف استخراج الفوسفات من قبل النظام السوري حتى سيطرة داعش على مناجم الفوسفات في البادية السورية (ريف حمص الشرقي) في 2015/5/21، على الرغم من قرب فصائل الجيش الحر من خط النقل الحديدي في منطقة (مهين والقريتين)! ودخولهما إلى المنطقة في معارك كر وفر، كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى أضرار في الخط الحديدي، سرعان ما يُعاود نظام الأسد إصلاحها في كل مرة. وهو ما يُظهر أهمية خاصة عند حكومة الأسد لإيلاء هذا القطاع أهمية كبرى خسر في سبيلها في كل المراحل (200 عامل قتيل و164 جريحاً و120 مفقوداً)، وفق إحصائيات وزارة النفط والثروة المعدنية في شباط 2018.

مع سيطرة داعش على المنطقة الفوسفاتية اقتصرت الأضرار على المعدات والآليات التي أخذها التنظيم من مواقع المناجم، ولم يُحاول الاستفادة أو الاستثمار في مجالي الفوسفات والغاز على عكس النفط، وذلك لعدم توفر ميناء بحري لنقل تلك المواد الخام، وغياب تجار السوق السوداء الذين كان يعتمد عليهم داعش في استثماره في مجال النفط عن الفوسفات.

لم توقّع حكومة الأسد أي اتفاق في المرحلة الأولى بعد استعادتها للمناجم من داعش في آذار 2016، وبدأت بإعادة تأهيل خط سكة الحديد المتضرر بمسافة (168 كم) من خنيفيس مروراً بـ مهين إلى مدينة حمص، ليُعاود داعش السيطرة على المنطقة في كانون الأول 2016 ولتبدأ مرحلة الاتفاقيات.

في ظل وجود داعش في المنطقة وقّعت حكومة الأسد، متمثلة بشخص رئيس الوزراء (عماد خميس) أثناء زيارته إلى طهران في 2017/1/16، على عقد استثمار مناجم الفوسفات في خنيفيس في ريف حمص، واتّفق الطرفان حينها على تسديد الديون عبر منح إيران الفوسفات السوري، وتأسيس شركة مشتركة بهذا الغرض تُشرف على الاستخراج وتصدير الإنتاج إلى إيران، عبر خط نقل بري يصل إيران بمناجم الفوسفات السورية مروراً بالعراق. بدأ الحديث عنه في حزيران 2017، وقالت وسائل الإعلام الإيرانية إن الخط البري يضم أربعة مسارب، وتم تنفيذ الجزء المخصص من الطريق في الأراضي الإيرانية.

لم يُعجب روسيا، الحليف الأقوى للأسد، توقيع الاتفاقية مع إيران، فأرسلت مبعوثها نائب رئيس الوزراء الروسي «ديمتري روغوزين» مع وفد اقتصادي، بعد يومين فقط من زيارة خميس إلى طهران، هذه المرة كان التوجه إلى الأسد شخصياً، ليخرج بعده «روغوزين» بتصريح إلى وكالة انترفاكس الروسية في 2017/1/18، قال فيه «إن بلاده دون غيرها ستساعد سوريا في إعادة بناء منشآت الطاقة بها، وإنه في سوريا يوجد أكبر حقل فوسفات يمكن الاستثمار فيه، فمنتجاته مطلوبة في العديد من البلدان» وأضاف «نحن نعمل على الحقل والنقل، وتسليم الفوسفات المعالج إلى دول أخرى تنتظر هذه المنتجات»، واعتبر ديمتري أن مصلحة الشعب الروسي تأتي في المقام الأول بالرغم من الصداقة التي تربط روسيا بسوريا.

أسفر هذا اللقاء عن توقيع مذكرة نوايا بين وزارة النفط والثروة المعدنية وشركة إيبك الروسية، بهدف استثمار الفوسفات والتعاون في مجالات الطاقة الأخرى في بداية نيسان 2017، صادق على الاتفاقية في 23 نيسان 2017 بشار الأسد شخصياً بين المؤسسة العامة للجيولوجيا السورية وشركة ستينغ لوجستيك الروسية التابعة لمجموعة تروي ترانس غاز وهي جزء من شركة إيبك، تهدف إلى صيانة للمناجم وخدمات الحماية التي أوكلتها لشركة يوروبوليس (فاغنر) مقابل حصولها على 25% من الإنتاج.

في أيار 2017 أعاد نظام الأسد السيطرة على مناجم الفوسفات، وطرد داعش منها بمساعدة حلفائه الروس والإيرانيين، لتصادق الهيئة الاستثمارية

السورية في 2017/6/1، بعد أقل من شهر على السيطرة، على ترخيص خمسة مشاريع استثمارية لرجل الأعمال اللبناني بيار فتوش وشركائه (الرجل المقرب من علي مملوك، والذي تعدّ أعماله حديقة خلفية لعائلة الأسد وحزب الله في الالتفاف على العقوبات الاقتصادية الدولية، من خلال إدارة مشاريعهم في المنطقة، بحسب وسائل إعلام لبنانية) من ضمنها استخراج الفوسفات الخام في حمص لمدة ثلاث سنوات، و بـ طاقة إنتاجية تصل إلى 10 ملايين طن سنوياً في الوقت الذي كان فيه الاستثمار قبل 2011 لا يتجاوز (3.5 مليون طن) سنوياً في المؤسسة العامة للفوسفات.

الفوسفات في سوريا بالأرقام

يُقدّر احتياطي الفوسفات في سوريا بأكثر من 2.1 مليار طن، وفق المؤسسات العامة للجيولوجيا ودراسات أكاديمية عن المنطقة، ويتوزع القسم الأكبر منه في منجمي الشرقية وخنيفيس جنوب غرب تدمر، التي تحولت إلى مستوطنة إيرانية بزعامة روسية انظر مادة عين المدينة -تدمُر مستوطنة إيرانية بزعامة روسية والنظام يمنع أهلها من العودة- وتصنف سوريا من حيث الاحتياطي المأمول لخام الفوسفات في المركز الأول عالمياً، والخامسة على مستوى الإنتاج والتصدير.

إجمالي احتياطي الفوسفات في مكامن الشرقية (المسيطر عليها من قبل القوات الروسية 1.7 مليار طن، في حين يبلغ احتياطي مكامن خنيفيس (المسيطر عليها من قبل إيران) 400 مليون طن. ويبلغ سعر الطن الواحد بحسب الأسعار العالمية في نيسان 2018 (173) دولاراً، وتتراوح أسعار المركبات الفوسفاتية من 100-200 دولار لكل كيلو غرام.

وتعدّ مكامن خنيفيس هي الأهم من الناحية العلمية وذلك لارتفاع نسبة خماسي أكسيد الفوسفور(p2o5) بحوالي 34%، وانخفاض الثابتة الحجمية إلى مادون 2.9، ما يجعله نشطاً إشعاعياً، وغزيراً بالعناصر النادرة التي تبلغ (300 فلز مشع تقريباً)، وعلى رأسها (اليورانيوم والسميكت والفرانكوليت). وتشير الدراسات إلى تواجد 70-140 غرام في الطن من عنصر اليورانيوم في فوسفات خنيفيس، وبنسبة أقل منه في الشرقية، إذ تتراوح نسبة خماسي أكسيد الفوسفور من (20-30%).

الفوسفات السوري والتعتيم الإعلامي

رافق التعتيم الإعلامي والحكومي الدراسات التنقيبية والاستكشافية لخام الفوسفات منذ ولادته عام 1962، إذ قامت شركة تكنوإكسبورد السوفيتية (آنذاك) بتنفيذ أول دراسة جيولوجية تنقيبية لمختلف مساحة المنطقة التدمرية، وكانت أول من قيّم احتياطي خام الفوسفات ومحتواه من العناصر النادرة أو عناصر الأثر المرافقة، وحينما طلبت المؤسسة العامة للجيولوجيا والثروة المعدنية السورية عام 1991 استلام أرشيف المنطقة من الشركة، قامت بإعطائها جزءاً من أرشيف المنطقة المتعلق بتقديرات الاحتياطي الكلي وآليات الاستخراج وكيفية الاستثمار، وأغفلت إعطاء معلومات تتعلق بآلية غسل وفصل المركبات الفوسفاتية والعناصر الثقيلة المرافقة له، وفق الجيولوجي غسان عثمان، رئيس دائرة المواد المعدنية واللامعدنية رئيس مشروع الفوسفات، في دراسة قدمها للمؤتمر الجيولوجي الثاني عام 2009.

واستمر هذا التعتيم حول اتفاقيات خام الفوسفات حتى اليوم، إذ لم تُطرح إلى العلن بنود الاتفاقيات السورية الروسية الإيرانية فيما يتعلق بآلية استثماره، والكميات المتوقع استثمارها سنوياً وحصة حكومة الأسد منها، واكتفت بالتصريح بالاتفاقيات بخطوطها العريضة، إذ ورد على لسان وزير النفط والثروة المعدنية (علي سليمان غانم) في شباط 2018«توقيع خارطة طريق تستهدف كل مجالات قطاع الطاقة مع وزير الطاقة الروسي، وإنشاء مركز أبحاث روسي في دمشق، وتطوير الفوسفات واستثماره استثماراً تشاركياً»، مغفلاً ذكر إيران في أي من هذه الاتفاقيات. كما قام مدير عام شركة الفوسفات في حمص بالطلب من الصحفي «مصطفى برو»، بعد لقاء نشره في جريدة تشرين ضمن فقرة اقتصاد محلي بتاريخ 2017/10/6، شطب كل ما يتعلق بالحديث عن العقد الموقع مع شركة ستروي ترانس غاز الروسية، وذلك بعد أن اتصل بالوزارة المختصة!

هل يستحق الفوسفات السوري هذا الصراع

إن انتشار الفوسفات على هيئته السطحية في سوريا، (على بعد 20 متر فقط من السطح)، وغناه بالفلزات المشعة يجعله الخام الأهم والأبرز حالياً، فلم تستثمر

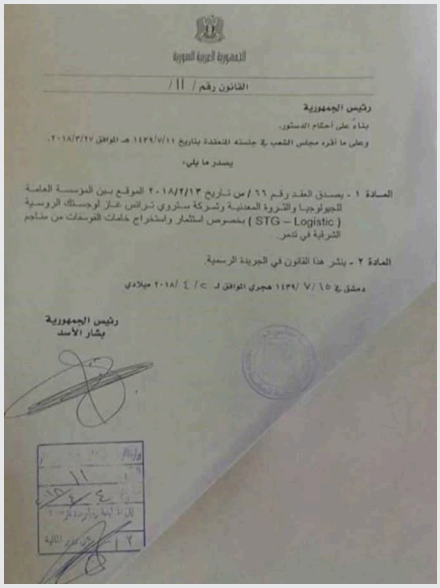
الجمهورية العربية السورية

القانون رقم / 11 /

رئيس الجمهورية

بناءً على أحكام الدستور،

وعلى ما أقره مجلس الشعب في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٤٣٩/٥/١١ هـ الموافق ٢٠١٨/٣/٢٧ م،

يصدر ما يلي:

المادة ١ - يصدق العقد رقم ٩٦ / ص تاريخ ٢٠١٨/٢/١٣ الموقع بين المؤسسة العامة للجيولوجيا والثروة المعدنية وشركة ستروي ترانس غاز لوجستك الروسية (STG – Logistic) بخصوص استثمار واستخراج خامات الفوسفات من مناجم الشرقية في تدمر.

المادة ٢ - ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية.

دمشق في ١٥ / ٧ / ١٤٣٩ هجري الموافق لـ ٤ / ٤ / ٢٠١٨ ميلادي

رئيس الجمهورية
بشار الأسد

سوريا خلال السنوات الماضية منذ عام 1991 وحتى 2009 سوى 0.017% من احتياطي الفوسفات، هذه الأهمية سواء لحكومة النظام من خلال اعتمادها على حصتها من الاتفاقيات وهو ما سيورّد لها أرقاماً مالية هائلة، أو لحلفائها الذين سيطروا على هذه المناجم، ليتقاضون سلفاً ديونهم المترتبة على حكومة الأسد خلال دعمهم العسكري له خلال السنوات الماضية.

ولروسيا حصة الأسد في هذه الاتفاقيات، وهذا ما يفسر التناحر بين الحلفاء، وتكليف شركات خاصة بحماية هذه المكامن، حتى وإن وصلت حصتها إلى 25% من الإنتاج. فالشعب الروسي على حد قول روغوزين نائب رئيس الوزراء الروسي «ينتظر كل روبل صرف على الحرب في سوريا، وينتظرون المكاسب من العمل الكبير لروسيا في سوريا».

في الطرف المقابل تُظهر إيران غضباً وتململاً من الدور الروسي الساعي إلى تهميشها، فبحسب مقالة نشرتها صحيفة «قانون» المقربة من التيار الإصلاحي في الحكومة الإيرانية جاء فيها أن «العالم يدرك أننا تحمَّلنا تكلفة بقاء الأسد في رئاسة سوريا، ودفعنا ثمناً باهظاً لذلك، ولكن اليوم يبدو أن حصتنا في بازار الشام ستكون لا شيء رغم جهودنا وتضحياتنا»، واصفة الأسد بـ«المخنث الجبان -ناكر الجميل». فيما شن موقع «تابناك» المقرب من المرشد الأعلى في إيران هجوماً على روسيا، معتبراً الاتفاقيات التي تمت بين النظام السوري وروسيا «خدعة روسية سيئة للإيرانيين في سوريا»، وذلك لاستبعاد الشركات الإيرانية من عملية إعادة الإعمار والاستثمار في سوريا.

مهجرو الغوطة الشرقية من ضيق الحصار إلى سعة الحياة في إدلب

محمد كساح

بعدسة الكاتب في إدلب

تكثُر المقارنات التي يعقدها أهالي الغوطة الشرقية بين معيشتهم السابقة وبين الحياة المفتوحة في محافظة إدلب، وتتعدّد التفاصيل التي تشهد بوناً شاسعاً بين المكانين، إذ تبدأ الفوارق بالظهور فور دخول باصات التهجير إلى قلعة المضيق، أول منطقة تابعة للمعارضة في الشمال، وصولاً إلى التجول بين الأسواق وفي شوارع المحافظة، لتحكي قصة معاناة طويلة الأمد تكبّدها المحاصرون، وانتهت بعد شراء أول سلعة غذائية من محل تجاري كبير في إدلب.

كـ حال المئات من أبناء الغوطة الشرقية الذين حملتهم باصات التهجير إلى إدلب؛ شعر «محمد» بزغللة في عينيه وهو يشاهد الأسواق المكتظة، والأنواع التي لا تنتهي من الخضار والفواكه ومختلف الأطعمة. وبينما كان يزرع السوق ذهاباً وإياباً طلب من صديقه «أبو ضياء» أن (يقرصه)، ليصحو من أحلامه العذبة التي لا يُصدق أنها غدت حقيقة لا مجرد تخيلات. «هل أنا في حلم أم في علم، لا أكاد أصدق أني تخلصت من الحصار وعدت إلى الحياة الطبيعية من جديد!».

يقارن الشاب الثلاثيني بين أجواء تلك البقعة المحاصرة التي لا تتعدى عشرات الكيلومترات شرقي دمشق، وبين محافظة إدلب حيث «كل شيء موجود؛ الأسواق المزدحمة، المطاعم الكبيرة، محلات العصائر والكوكتيلات، الأضواء والسيارات، وكل ما يخطر على البال».

الدخول إلى متجر لألواح الطاقة الشمسية كان أول ما فعله محمد، فور قدومه إلى إدلب، سائلاً عن الأسعار، وممتّعاً ناظريه بالمشهد الجميل الذي كان يحلم به في غوطته المحاصرة، إذ كانت هذه الألواح حكراً على طبقة من العسكريين والملّاك «تفاجأت بالمنظر حقاً. فالأسعار كانت رخيصة للغاية مقارنة بها في الغوطة، أضحى باستطاعتي محو 5 سنوات من العتمة قضيتها هناك، عن طريق استخدام الطاقة الشمسية في الحصول على الكهرباء».

في سنوات الحصار التي طالت كابوس لا ينتهي؛ كافح الآلاف من سكان الغوطة الشرقية للبقاء على قيد الحياة. وفي ظل انعدام معظم مقوماتها صنع الأهالي حياتهم الخاصة المعتمدة على ما توفره أرض الغوطة من خيرات، إضافة للسلع والمواد الغذائية ذات الأسعار الباهظة، والتي يصعب الحصول عليها حتى وإن توافر المال «كانت تدخل بالقطارة وفي أوقات متقطعة»، يتذكر «سليم» بعض تفاصيل حياته السابقة التي قضاها محاصراً في الغوطة، وهو يتسوق بأريحية واضحة في سوق مدينة إدلب. «بكم البصل يا عم؟» يسأل سليم الذي علت الدهشة وجهه حين أجابه البائع «بـ 70 ليرة»، كانت «البصلة الواحدة بـ 900 ليرة في زمن الحصار»، قال في نفسه بعد أن أدرك أن للنقود هنا قيمة.

اشترى سليم مختلف أصناف الفاكهة والخضار التي طالما حُرم منها في الغوطة. أكملَ جولته ليقترب من دوار الكرة في مدينة إدلب، حيث استوقفه منظر الفروج المشوي، وهو يدور ويدور داخل الشواية الكهربائية، أول ما خطر في باله ذلك المشهد من إحدى حلقات (بقعة ضوء)، الذي يروي حكاية شاب سوري مع الفروج المشوي، إذ كان لعابه يسيل لهول المنظر، ابتسم للذاكرة القديمة وأكمل طريقه.

ليس مجرد الحصول على الطعام اللذيذ هو ما يُسعد المهجّرين، وإن كان أحد أكبر سعادتهم؛ بل ضجيج الحياة وصخبها في إدلب، من أصوات زمور السيارات إلى ازدحام المئات عند دوار الساعة في المدينة، وصولاً إلى المحلات الضخمة المصطفة في مدينتي سرمدا والدانا على الحدود مع تركيا.

يروي «محمود» تناقض المشاعر في داخله منذ قدومه إلى إدلب، في كل مرة يتذكر بيته في الغوطة يشعر بألم من استيقظَ من سبات عميق. أجواء الحصار الشبيهة بالمعتقل، والتي لم تنته بشكل كامل، على الرغم من انغماسه في الحياة عقب استقراره في إحدى مدن المحافظة، تطغى على جلسات الحوار مع أصدقائه. لتبدأ رحلة الحنين إلى بيته المليء بمئات الذكريات. الحنين والألم يكادان يقتلانه، لكنه سرعان ما يجد نفسه غارقاً في حياته الجديدة «الحنين يصغر مع البعد وطول الزمن»، يقول، ثم يكمل «على الحياة أن تستمر، ولكن الغوطة جرح لن يندمل».

يأمل أهالي الغوطة في الحصول على حياة مستقرة في منفاهم السوري، وإن كان العديد منهم بدأت تُساوره الرغبة في كسب متعة أكبر ومعيشة أرحب، هناك خلف الحدود السورية حيث تتسع الأراضي التركية بشكل يخطف أنظار الجميع.

معسكر الطلائع في السويداء

معتقل البؤس والذل لنازحي المنطقة الشرقية والبادية

عبيدة نبواني

«معسكر الطلائع يُعتبر أشبه بسجن، أو معتقل كبير، يضم آلاف الرجال والنساء والأطفال. إذ تمنع قوات النظام الواصلين حديثاً إلى المعسكر من مغادرته، خصوصاً إذا كانوا من أبناء المنطقة الشرقية، بتهمة كونهم من أسر عناصر تنظيم الدولة، بينما تسمح لبعض الأسر الأقدم بالخروج من المعسكر والعودة إليه، في حالات معينة، شريطة عدم خروج جميع أفراد العائلة».

هكذا يُلخّص أبو حازم تجربته في معسكر الطلائع، وهو نازح من ريف دير الزور الشرقي أُجبر على الإقامة في المعسكر، الذي يقع بجانب الطريق بين قرية رساس وقرية العفينة في ريف السويداء الغربي. تبلغ مساحة المعسكر نحو عشرة هكتارات، يضم داخله عشرات الغرف الصغيرة ضمن ثلاث كتل من الأبنية، وساحات تستخدم لإنشاء خيم يقيم فيها النازحون الواصلون حديثاً، كما يضم مدرسة تستخدم ثلاثة طوابق منها لإقامة النازحين. ويُحيط بالمعسكر سور يفصله عما يقع خارجه، ويمنع النازحين من مغادرته.

أبو حازم وصل مع عائلته، وعشرات المدنيين الآخرين من دير الزور، إلى ريف السويداء الشرقي في نيسان عام 2016، وكانوا حينها ينوون دخول محافظة السويداء والتوجه منها إلى مناطق أخرى، كل حسب وجهته، وبعد أن اتفق النازحون مع أحد المهربين على دخول المحافظة أوقفهم عناصر من الأمن العسكري، وقاموا بنقلهم إلى المعسكر بعد أن أخذوا منهم أربعة آلاف ليرة عن كل شخص، مااضطر أبو حازم لدفع عشرين ألفاً، عنه وعن عائلته، لقاء إيصالهم إلى هذا السجن.

رغم تخوف النازحين بداية من الإقامة في السويداء بسبب الاعتقاد بأن جميع أبناء المحافظة مؤيدون للأسد، إلا أن اضطرارهم للبحث عن مكان آمن دفعهم للتوجه إليها، لكن السويداء لم تبق تلك المنطقة الآمنة كما كان يفترض كثيرون. ويعيش معظم النازحين الوافدين إلى السويداء في بيوت استأجروها داخل المدينة، أو على أطرافها، أو في بعض القرى والبلدات، بينما أنشأت حكومة النظام عدداً من مراكز الإيواء للنازحين، إلا أنها استطاعت تحويلها من أماكن قامت على فكرة إنقاذ المتضررين، إلى ما يشبه المعتقلات الجماعية التي تديرها أجهزة أمن النظام وتُشرف عليها مخابراته.

ويُعتبر معسكر الطلائع أكبر هذه المعتقلات، وتُشير التقديرات إلى وجود أكثر من خمسة آلاف شخص في المعسكر. في البداية توجّه كثير من النازحين إلى معسكر الطلائع لعدم قدرتهم على استئجار منزل على نفقتهم الخاصة، ثم راحت قوات النظام، في الفترات اللاحقة، تُجبر النازحين الواصلين حديثاً على الإقامة في المعسكر، كما أنها سبق أن رحّلت مئات النازحين باتجاه مخيمات أُقيمت لهم في ريف دمشق، إلا أنها أسوأ حالاً من المعسكر، بحسب أبو حازم، وتقدر أعداد النازحين الذين احتجزوا داخل المعسكر لفترات متفاوتة بنحو عشرين ألف مدني.

يخضع المعسكر لسلطة الأمن العسكري الذي ينشر نقاط حراسة هناك، إضافة لانتشار عدد من عناصره المسلحين على سطح المدرسة التي تستخدم مسكناً للنازحين، وتدريس أطفالهم في طابق منها، في ما يمنع عناصر الأمن الموجودون عند مدخل المعسكر دخول أو خروج أحد إلا بموجب إذن من قيادة المعسكر. ويروي أبو حازم أن ضباطاً روساً سبق أن زاروا معسكر الطلائع عدة مرات في الأشهر الماضية، إلا أنهم لم يقدموا شيئاً يذكر.

أحد قاطني المعسكر يُشير إلى أن أبناء البادية السورية والمناطق الشرقية يشكلون النسبة الأكبر من قاطني المخيم، بسبب اضطرارهم للنزوح مراراً نتيجة قصف قوات النظام لتلك المناطق، ووجود تنظيم الدولة فيها. كما تُقيم في المعسكر عائلات نزحت من محافظات أخرى أبرزها درعا وريف دمشق وحمص، إضافة لوجود نحو 15 عائلة فلسطينية نزحت من جنوب دمشق.

ويُفيد أحد أبناء ريف السويداء الشرقي أن سائقي الشاحنات يدفعون جزءاً من المبلغ الذي يحصلون عليه من النازحين لحواجز النظام بهدف تسهيل مرورهم، إلا أنهم رغم ذلك يتعرضون في بعض الأحيان لإطلاق نار من قبل هذه الحواجز لأسباب عدة: من بينها تهربهم أحياناً من دفع الرشاوى، أو عدم التنسيق مع جميع هذه الحواجز، ما أسفر أكثر من مرة عن إصابة بعض النازحين، كما سبق أن قُتل سائق إحدى الشاحنات في واحدة من هذه الحوادث. كما أن قوات النظام باتت تمنع دخول النازحين إلى السويداء منذ نحو عامين، حيث تقوم بتجميعهم ونقلهم بشكل جماعي إلى معسكر الطلائع، مقابل مبالغ يُجبرون على دفعها، تتراوح بين ثلاثة وخمسة آلاف ليرة، حيث يتم التعامل معهم على أنهم من عائلات عناصر تنظيم الدولة، ويتلقون معاملة سيئة أثناء نقلهم، وبعد وصولهم إلى المعسكر.

في المعسكر نقطة طبية خالية إلا من بعض الأدوية المسكنة، مع عدم وجود طبيب مختص، حيث يزور المخيم بشكل شبه أسبوعي طبيب أو طبيبة لفحص المرضى ذوي الحالات السيئة، وسط انتشار أمراض المعدة والأمعاء، والأمراض المتعلقة بالنظافة مثل الجرب. وتعجز المنظمات الإنسانية أو الإغاثية عن تقديم الدعم الكافي بسبب خضوع المعسكر لسلطة الأمن العسكري، الذي يفرض وصول المساعدات لقبضته بداية، ليوزع ما تبقى منها على النازحين.

Nikolai Yaroshenko

في كل مرة كنت أحاول فيها إكمال الصور التي سربها «القيصر» لآلاف جثث المعتقلين في سجون الأسد كنت أقف عند رقم لا يتجاوز الخمسين، دائماً كنت أبحث عن صورة لأخي المعتقل، على الرغم من يقيني بأن ذلك لن يحدث، فالصور المسربة كانت قبل اعتقال أخي بأشهر، ولكن شعوراً ما كان يدفعني للبحث والتوقف. كأن أمتلئ بالحقد والموت معاً، أو الخوف فعلاً من فرضية إيجاد صورة له بين تلك الصور. المشهد تكرر ثانية في برنامج «يا حرية» الذي يُعرض على تلفزيون سوريا. هذه المرة لم أستطع التوقف، ولكني مُلئت بكل تلك المشاعر معاً.

أخي المعتقل وبرنامج «يا حرية»

مصطفى أبو شمس

تلك التفاصيل الصغيرة في وجوه المعتقلين السابقين، والخوف الساكن في ابتساماتهم، والدمعة التي لا تكاد تفارق أعينهم اللامعة، لم تفلحْ في إخفاء الخوف من فتح جرح الذاكرة. أن تعبث بالذاكرة من خلال استحضار ما يُوحي بالأمل، والحديث عن ساعات من الترقب والانتظار، وكيف يتساوى الموت والحياة ليغدو الانتحار فكرة ملحة مسيطرة للانتهاء من عذابات الجسد والروح. أن تبتسم بهدوء أو أن تشير بيدك لتتوقف عن المكابرة على الألم، أو لتستعيد بعض أنفاسك لتكمل بقسوة ما يريحك ويقتلنا، هو كل ما استطعت أن ألتقطه، لأضغط بيدي على زر الإيقاف أمامي. أخلع نظارتي. أمسح عيني. ألتقط أنفاسي أنا أيضاً. أشتم البرنامج ومعدّيه وضيوفه. أبكي وحيداً. أتخيل أخي في تلك اللحظة بمشهد تمثيلي كالذي يُعرض على الشاشة، يبحث عن «بلاطتين» ليريح جسده المتعب بعد حفلة تعذيب كالتي تحدث عنها الضيوف. أعدّ شقوق ظهره من أثر الكبل الرباعي. نسيت (قال أحدهم أن حفلات التعذيب قد تغيرت، واستبدل الكبل الرباعي بـ قشاط دبابة ينتش من لحم المعتقلين، بعد أن يلتف على ما تبقى من جلد يستر عورة عظامهم).

أخي الذي اعتقل لأسباب لا تشبه اعتقال ضيوف البرنامج، ولكنها تتقاطع معها في جميع المفاصل (الأسد الابن بدلاً من الأب -غياب التهم والمحاكمة -طغيان السجن والسجانين -طريقة الاعتقال) والأهم من ذلك هو أن كل ذلك يحدث في سوريا منذ ثمانينات القرن الماضي دون رادع. ففي أيلول 2014 تم إنزال أخي من حافلة كانت تقله وأطفاله في حلب، قال عنصر الحاجز لزوجته «ساعتين ومنرجعو، تشابه أسماء، ولازم نتأكد».

ترتجف يدي وأنا أضغط على زر المتابعة، (الأبوّة لا تأتي فجأة، كيف يمكن أن تخبر طفلك أنك والده، الأبوة تشرب كالماء)، أتوقف مجدداً. ما الذي سأقوله لطفلة أخي التي تركها بعمر السنتين، كانت تناديني بعمي «بصل» في محاولة منها لاستخراج أحرف اسمي الصعبة. هي الآن في الصف الأول، ولا زيارات تسعفها لمعرفة والدها، ولا نحن استطعنا أن نعرف له طريقاً حتى هذه اللحظة. تراها ستعرفه، أم أنها ستتركه بعد أن تسأله ذلك السؤال المقصلة الذي أخبرنا به أحد الضيوف (أنت بابا؟)، وحين يهز رأسه بالإيجاب، ستنزل من حضني وتلعب في باحة السجن المقابل لحضور والدها غير آبهة بما فعلت به طفولتها، وما فعل بطفولتها.

السؤال الذي رافق الحلقات الخمسة للضيوف فيما إن كانوا يريدون الانتقام من سجانيهم، والإجابات الهادئة كانت تدور في فلك (عدم الحقد، والمطالبة بالعدالة). تعمّني الفوضى والغضب وأنا أتشارك معهم حالة الطهر تلك، نحن حاقدون وغاضبون ونريد الانتقام من السجن وحاكمه وقضاته وضباطه وسجانيه، العدالة هي أن نفعل، قلت في نفسي وأنا أجيب عن السؤال كما لو أنه طرح عليّ. لا أعرف حقيقة ماذا كان أخي سيقول لو سؤل عن ذلك، ولكن الأكيد أنّا (وأعني نحن عائلات المعتقلين أمهاتهم وإخوتهم وأبناؤهم وزوجاتهم) نملك الحق في الإجابة أيضاً عن ذلك السؤال، ولنا الحق في الانتقام والحقد والمحاسبة.

رفعت صوت «اللابتوب» وتوجهت نحو النافذة لأدخن سيجارتي الأخيرة مع آخر الحلقات التي أنهيتها في ليلة واحدة، كان السؤال الذي يُلح عليّ: ما الداعي لهذا البرنامج؟ ثم لماذا تقتلون شعورنا المتخيل أن من نحبهم بخير؟ لماذا تؤذون قلوب الأمهات اللواتي لم تجف دموعهن بعدْ، وتنكؤون جراحهم التي لم تُشفَ، وتختبرون صبرهن؟

هو التوثيق لإجرام الأسد وعصابته، وكتابة سرديات من الألم لا تنته عن انتهاكاته، أعتقد أن السوريين ليسوا بحاجة إلى ذلك، هم يقيناً يعرفون ما يحدث، ويُحاولون طرد شبح الفكرة كل مساء عن وسادات نومهم.

حين خرج جارنا أبو مروان من المعتقل بعد عشرين سنة قضاها هناك بتهمة الانتماء للإخوان المسلمين، بقي صامتاً أبداً. كلما حاولنا استفزازه بالسؤال (وكانت الثورة قد بدأت وحاجز الخوف قد انكسر) كان يجيبنا بالصمت، ويكتفي بالنظر في وجوهنا لبرهة علّه يستعيد قدرته على الكلام. تخونه حنجرته، ويُطرق برأسه إلى الأرض، ثم يصمت.

(٢٠٠) دولار من سعد الحريري و (٢٠٠) ليرة لرامي مخلوف

برهان نوفل

(200) ليرة اشتريت بها علبة السجائر، هي كل ما كنت أملكه يوم الضربة الأمريكية، التي خيبت توقعاتي بأن تأثراً ما سيحدث، ولو حتى زيادة في الأسعار أو انقطاعاً لبعض المواد، ولكن أياً من ذلك لم يحدث. لا أُنكر الأصوات التي أيّدت هنا والتي أدانت هناك، عدا عن ذلك لم يحدث أي شيء. لا خوف ولا انفعال ولا ترقب. نظرة الكآبة التي تعتلي وجوه الجميع قبل الضربة هي ذاتها بعد الضربة، لأن 200 ألف ليرة لا يملكها إلا قلة قليلة، هي لا تكفي حتى لتحيا حياة يشوبها الذل، فلا حياة كريمة زمن الحرب.

تزامنت الضربة مع ذكرى لا أنساها، وهي اعتقالي مع عشرات الشبان في عام 2011 من إحدى المظاهرات في مدينة دمشق. خرجتُ بعد أسابيع قليلة، وبكلّ براعة طُردت من عملي في أحد محلات دمشق القديمة، إذ بدأ ربّ العمل بمنحي إجازة لكي أرتاح، وبعد ذلك بأيام اتصل بي ليشكو من تدهور أحواله، وأخبرني أنه استغنى عن خدماتي، ولم يعدْ للاتصال بي بعدها على الإطلاق. بنفس البراعة طردني صاحب البيت بعد أن هنأني بالسلامة، ثم شكا لي سوء أحواله، وأنه يريد بيع البيت لأخيه المتطوع في الأمن، ما يعني أنني لا أستطيع الرفض على الرغم من عقد الإيجار الذي لا تنتهي صلاحيته قبل عدة شهور. أذكر أن أحد السجناء قال لي إننا في الفرع 215، وخطر ببالي حينها أنه مجموع علاماتي في البكالوريا.

عندما نجحت أول مرة خابت توقعات جميع من حولي بعلاماتي لأنها أقل من 200 درجة. حفرتُ حفرة بعمق متر ونصف بأجرتي وهي 200ليرة. انتهيت من العمل مع عودة الطلاب من المدرسة، حيث فاجأتني إحدى المعلمات، إذ عرجت على الحفرة وتمتمت ثم تابعت طريقها دون انتظار الردّ، قالت «هادا اللي ما بجيب علامات هيك بصير فيه».

نجاحي الثاني بالبكالوريا خيّب التوقعات أيضاً بعلاماتي لأنها أكثر من 200 درجة. قررتُ الالتحاق بالجامعة بغض النظر عن الفرع، فقد كان اهتمامي منصباً على الخروج من تلك الحفرة المحفورة من زمن الأجداد، غير مُدرك لحقيقة أن الحُفر التي أمامي أعمق، وأن تجاوزها أصعب.

في ربيع 2011 هتفتُ للحرية وللثورة السلمية، هتفتُ لدرعا. لكن تهمتي في الفرع كانت تلقّي 200 دولار من سعد الحريري للمشاركة في مظاهرة ضد النظام، «هي السكسوكة سعودية؟» كان يسألني المحقق وهو يقتلعُ بيده شعر ذقني وشاربيّ.

200دولار كانت تُعادل عشرة آلاف ليرة في ذلك الوقت. كان الرقم بحد ذاته إهانة، فلم تكن عشرة آلاف تكفي للعيش في حدوده الدنيا للمدة التي قضيتها في حفرة الفرع 215. لكنه الرقم الذي وجده المحقق مناسباً للمخاطرة التي قمت بها، الرقم الذي وضعه ثمناً مبالغاً فيه لحياتي البائسة.

تعقدت الأوضاع مع بداية الحرب، وبدأ انهيار سعر الليرة السريع يُطارد الشعب مثل أي شبيح خرج ليقمع مظاهرة. صارت شوادر الأمم المتحدة منظراً مألوفاً أكثر من صور المرشحين للانتخابات، والإعلانات الطرقية. وعاد شعر لحيتي، وعادت فرص العمل للظهور بعد غياب طويل توالت فيه الأحداث وصولاً إلى حالة اكتئاب جماعي لا تصعب ملاحظته أينما يممت وجهك. فرص العمل تلك بأجورها المتواضعة هي ذات الفرص القديمة التي يشاء لها ألا تكفي، وعليك أن تكون ممتناً على الرغم من ذلك. في آخر مقابلة عمل أجريتها مع محامي شركات، أخبرني أن رؤوس الأموال غادرت البلد، وحثني على البحث عن وظيفة في الدولة «في كتير مسابقات ليش ما بتقدم؟»

200ليرة رصيد موبايل لشركة سيرياتل المملوكة لرامي مخلوف، لأتمكن من الاتصال بمن تبقى من الأصدقاء لاستدانة أجرة البيت، منتهزاً أنني أدفع أجرة بيتي منتصف الشهر، بينما يدفع أصدقائي التزاماتهم أول الشهر. بين بسطات التعفيش وحاويات القمامة وجدت ليرتين «200 قرش» عديمة القيمة تماماً، لكنها ذكرتني بمزاح أحد الأصدقاء بأن أطالب سعد الحريري بـ الـ 200 دولار التي اعتقلت ولم آخذها..

في بيروت... تحرّش عابر للحدود

رانيا العيسى

Angelica Alzona

تهانينا! تسرّ إدارة منحتنا الدراسية إبلاغك بقبول طلبك لاستكمال دراستك في بلدنا، يرجى منك الحضور إلى بيروت....

كعادتي القديمة قرأتُ _ باندهاش طفلة _ أول الخبر ونسيت تفاصيله، بمعالم أثارت حفيظة أبي المتكئ "شبك؟!". أخبرته بنبرة العطش من ظمأ انتظار فَرَج "نظامي"... "فيزا وتذكرة سفر إلى تركيا، قبلوني في المنحة"، "لا تروحي ولا تجي" واستأنف "شو هي المنحة؟"

ضوء أخضر خافت منحني إياه والدي المتردد كعادته، باتت المنح الدراسية باباً للهرب من سوريا بشكل نظامي إلى أقرب بديل جغرافي آمن يخولك ممارسة إنسانيتك. تناولت هاتفي أتصل بسائق (في عمر أبي)، وأحادث أبي عن طلبٍ، استكملته لي صديقتي للتقديم على منحة دراسية في الخارج، لم أستطع إتمامه حينها. كنت أستجمع ما يسترني صيفاً في حقيبة اعتدت تحضيرها استعداداً لنزوحنا الثالث من منزلنا، أنهيت مكالمتي "7 الصبح بتلاقيني عند الموقف".

حتى معبر المصنع بقيتُ أتحسس مدخراتي الأخيرة من عملي قبيل تركه لسداد أجرة السائق، أوراقي.. وحجز وهمي في السفارة السورية، فكلمة "تركيا" وتبعاتها الدبلوماسية غير كافية للإفلات من قبضة المعابر. لم يزدحم المعبر بعد، مازالت وجوه اللبنانيين للمحيا السوري "صافية". تبعت الدور فكان دوري، عاجلني العسكري بعبارة "راجعي الضابط"، مضيت إلى مكتب الأخير باستسلام أتمتم باللاشيء.

لا أذكر حينها أني قلت للضابط "صباح الخير"، نظرتُ إليه كطفلة اقترفت ذنباً، وضعت أوراقي على مكتبه، واعترفت بكل شيء.. موعدي في السفارة التركية والمنحة والفيزا، ونسيت أمر حجزي الوهمي في السفارة السورية. لا داعي للكذب فالسوري في نظر اللبناني "أعور دجال"، فلا ضير في قول الحقيقة!

سجال أمني معتاد انتهى بسؤال "مجوزة؟" بفضول الأنثى تفحصت يديه، إصبع يشغله محبس زواج! "عمرك 29! ليه لهلأ ماتزوجتي؟" خيل إليّ أني في كابوس مع إحدى ثرثارات مدينتي التي تبدو "حربوتة" في اصطياد عريس قبيل ولوجها سنة الـ 26! خشيت أفعل فعلتها فيلحقني سباب من أطفالي على جريمة العيش في بلد يغتال الحياة. أطبق أخيراً ختمه الأسود "وهي 48 ساعة لإلك!" ابتسامته الشهوانية تعلو فاه، خطفت تذكرتي قبل أن يغير رأيه، هاربة من "بوط" عسكري لبناني الرائحة.

"كيف خلّصتْ هي بسرعة؟" قال أحد الواقفين على الدور الطويل، ليردد السائق السؤال الذي سمعه: "كيف حصلتِ على إذن الدخول بسرعة؟" يُحاول رفع صوته وسط صوت طرق الأختام وأزرار الكيبورد، أجبته بابتسامة اللاشيء "ماعم أسمعك!" كنت في الأحرى "موجاية عبالي أسمع".

سورية؟

إعلانات طرقية رافقتي من المعبر إلى بيروت كفيلة بكسر الملل، فنصفها "للطرب والكيف" ونصفها الآخر شعارات حزبية ووطنية...إعلان وحيد يظهر بوضوح صامت: "إذا المتحرش ماتوقف... مارح يوقف"، حتى تلك اللحظة ولسذاجتي اعتقدت أن المتحرش لا يعترض سوى من هن من أبناء جنسيته!

يُصادفك مجسم خرساني مشوه كلما اقتربت منه يأخذ شكل دبابتين في واجهته الأمامية، خلته مبنى سكني فعلت الحرب الأهلية فعلها فيه، فكان صرحاً لـ "وزارة الدفاع اللبنانية" في بعبدا، تقبع خلفه السفارة السورية "لجباية الأموال". وقفت عند بوابة الأخيرة صباحاً، ودرك السفارة اللبناني يتفحصني بفضول مناطقي، وربما ذكوري، ويجول -في كل مرة تتسع دائرة جولته- حتى بات على مسافة قريبة تخولني سماعه "سورية؟" بغبائي المناطقي أحببت مؤقتاً ممارسة دور الأغلبية، فأنا الآن أقف في أرض تتبع سفارة بلدي، وهو درك فيها، أومأت بالإيجاب، "مو مبين عليك سورية، السوريين مابيوقفوا عالدور!" ارتديت نظارة شمسية لإنهاء فضوله الصباحي، باغتني بكلمة "دوموزيل!" وأشار إليّ "تفضلي!" مبعداً غيري من أبناء جلدتي عن بداية الصف لأفتتح صف الطلبات، ابتسامة مقتضبة ومضيت.

بدي اشتغل "علي"

آلة حاسبة في رأسي، 425$ ثمن طوابع وأختام جعلت أوراقي أشبه بجريدة مهترئة، ولم العجب؟ رسوم المغادرة ارتفعت تعويضاً لخسارة النظام 19 معبراً، فضلاً عن ثمن تجديد جواز السفر الذي "لايُدخلنا إلى الحمام" حسب مقولة صديقتي الفلسطينية، تجعل العاملين في قطاعاتها يعيشون في بحبوحة، استذكرت جاري الموظف في الجمارك، وصبي الطلبات المتردد إلى منزل الأول يومياً، وقريب صديقتي في المنطقة الحرة، أحسب دخلهم، لكن أكثرها ارتفاعاً هو أن تعمل "علي".

نكتة قديمة اعتاد والدي أن يرويها على مسامعنا منذ أن عدنا إلى سورية، فمن يكون من الطائفة العلوية ويحمل في اسمه "علي" يمكنه العمل في "المطرح يلي بيحبه!"، لذا قررت حينها أن أشتغل علي. اطمأننت للحظة لمجرد استذكار نكتة أبي، سرعان ما تلاشى شعوري. صوتٌ قريبٌ من خلفي بدا معاتباً "ليه طولتي؟" التفتّ فزعاً، ذاك الدرك

مجدداً. ضممت أوراقي، فما من درع حاليّ يذود عني، "إزا باقية ببيروت بساعدك، أديه باقية عنا؟". صوت سائقي يسأل من بعيد "خلصتي؟" فكان خلاصي.

الأشرفية ترحب بكم

تسللت وسط جموع المنتظرين ودخان سجائرهم أمام السفارة التركية. سجلت اسمي، رمقني درك آخر، وكأن الدرك تكالبت عليي في يوم واحد! سألني فيما إذا جلبت الأوراق المطلوبة، تفحصني بوقاحة شهوانية أثارت فضول المصطفين، "صحفية لأي تلفزيون؟ لا عتب على لبناني يرى الإعلام مجرد شاشة وراقصات عليهن أشباه الملابس "حتنامي ببيروت أو راجعة عالـ"شيم".

أضفت إلى مخزوني تصنيفاً آخر أردت أن أطلقه للحظة في وجهه "مقرف جداً"، تذكرت حينها أن النظام أجرى تغييراً ألزم فيه الطلبة بإدراج "غير موافق جداً" في أبحاثهم العلمية بدلاً من "معارض جداً"، فلا معارض في "حضرة سوريا الأسد"، فقررت الصمت.

يطل من وراء الدرك وجه ذكوري أعرفه ويعرفني، زميلي مقبول هو الآخر في المنحة، اكتفيت بسؤله "بتنطرني لأخلص؟" ناظرة إلى الدرك أشرح المقصد من طلبي، بخَجَل "ناطرك".

"عريسك لبناني"

عقب يومين من سفري الأول إلى بيروت، حان الموعد الثاني والأخير، كنت أنانية في وداع والدي الباكين، قلت في نفسي "لازم أبكي.. لزوم الموقف"، استحضرت معبر المصنع الذي مازال يثير لدي قشعريرة، وذاك الضابط، والذي من سوء طالعي كانت ليلة سفري نوبته، هل سيذكرني؟ جئته منذ يومين فقط! أجرى فحصه النظري "طبقي محوري" المعتاد. "وفيزا تركية؟!" ممازحاً "كيف حصلت عليها؟ بدنا ننطرك لنتأكد من الفيزا، شو أطلب لك تشربي؟" ضابط لبناني ومعبر المصنع وماذا أشرب في جملة واحدة! علّه كرم الضيافة.

صمتٌ قطعته ضوضاء، اقتحم مكتب الضابط فجأة رجل لبناني برفقة زوجته وطفليه، "سيدي أنا لبناني وهدول ولادي ومرتي، ليه وقفتوني؟"، يُجيبه بنبرة العسكر "مرتك سورية اطلع لبرا"، عاد الضابط يبرر تنمّره العسكري، يسألني بنبرة ناعمة "عندك حبيب؟ خطيب؟ شو طالعة تعملي بتركيا؟"، "ضابط واحد وسوريتان، إحداهما طُردت والأخرى تنتظر ضيافة! عندك فيس أو أنستا؟" واسم حسابك نفس الاسم الموجود عالفيزا؟ لو كذبت عليه ما عساه يفعل؟"، صوته بالكاد يُسمع "عندي حساب باسم وهمي، بدخل وبعلق وبسب على كيفي.. مشان الوضع، بتعرفي!"، منهياً الاستجواب بجملة "عريسك حيكون لبناني"،

"هاد يلي كان ناقص" لأول مرة أحمد الله على نعمة المونولوج، يمنحني هامش من حرية الحديث عن شخص أو عليه بأريحية ودون رقابة، لم تمنحني إياه أية وسيلة صحفية كنت قد عملت بها في السابق.

بدأت جموع المراجعين تزدحم، سألت "مطولة الفيزا؟" انتفض من حرج مقاطعتي حديثه "يا فلان!" التقطت جواز سفري كمن التقط قرار الإفراج، يأمر عسكرياً بالختم لسائقي بسرعة، يُحادثني من بعيد "كل شي تميم؟" بطريقة أثارت انتباه من حوله، "تمام" ومضيت.

تحرش عابر للقارات

أخيراً.. شعرت بالقليل من الأمان حين وصلت إلى مطار بيروت، أشخاص يُعانق بعضهم بعضاً، يبكون مطولاً، والكثير من السيلفي. شعرت بالغيرة، باشرت الاتصال بوالدي، لكن شبكة إنترنت المطار لاتعمل!

"في شبكة بس محجوبة" قال لي عامل تخلل صفوف المسافرين، استسلمت إلى نفسي أحادث والدي وأعتذر عن جفاء وداعي، أبكي كأول بكاء لطفل مولود، أتململ من امرأة مسنة أمامي مستسلمة، يلزمها تسديد ما يُعادل 300$. أحد ما يلتصق بي، يهمس: هلأ بعطيك الباسورد. كان يمكنه إبلاغي دون الالتصاق.. دون همس.. "مالي بحاجته".

سويعات قليلة تفصلني عن تركيا.. فزعت.. تيقنت أني استسلمت للنوم، هبوط الطائرة أفزعني، تفقدت أغراضي كـ "فوبيا" لازمتني بعيد سرقة هاتفي.. أي حظ هذا؟!

إلى المطار دخلت مع جموع من تزامن سفرهم معي، "صرلي زمان ما شفت شباب" أضحك، الاحتياط في سوريا سحب البلاد والشباب من العِباد.

بعيد يومين من الوصول، حان وقت سوشيال ميديا، آخر رسائل الماسنجر تُشير إلى شخص باسم رجل "سني" من لبنان، جعل جيفارا صورة بروفايله وفحوى صفحته علمانية بامتياز، أي تناقض هذا؟ عساه ضابط المعبر؟ أم درك السفارة؟ أم عامل المطار؟ رسالة دون ردّ، عاود الاتصال مرتين ثم انتهى بباقة ورد وعبارات حب مبتذلة يُعرّف بها عن نفسه " أنا فلان... بالمعبر.. مابقدر أحكي كتير!"

«٦ إلا ربع» والباميـاء والجسر المعلّق
رموز العابر حين يُغادر دير الزور ولا تُغادر

عمل فني عن لوحة لبيكاسو - الفنانة غيداء -صفحة لوحات في زمن الثورة على الفيسبوك

سهيل نظام الدين

يعود إلى مدينة تتكئ على جثة الحرب، وتهدهد لحلم ثورة لا تعرف تحت أيّ كومة من حطامها تجده. في ذاكرته أخيلة لمكان لايعرف كيف يصبح مزدحماً، ولا يطيق الهدوء والفراغ، لمدينة يُضجرها الاتساع، وتختنق في صورة المدن العتيقة ذات الزواريب الضيقة.

إنّها قصتهما الأبدية، هو المتغير في صورته كشخص ينتمي إلى حيّز بين نهر ويباب، والثابت في وصفه كذات لاتُنكر سطوة المكان عليها، وهي تساوي المعادلة وحلّها.

إنّها مقاربة ذهنية لدير الزور في حالة لاجئ، أو نازح، يبحث عنها في رمزية دالّة يمكنه اختصار طرفي المعادلة عليها، ليكثّف لحظة انتماء تعيد إليه توازنه وتساويه. وهذا ليس افتراضاً مقتصراً على دير الزور، فكلّ المهجرين على رقعة الحرب يعيشون لحظات التكثيف هذه، بأسماء عدة، غير أننا سنختص في السطور القادمة بالبحث عن تكثيف فرادة دير الزور.

كيف يمكن أن تكثف مدينة شبه مدمرة؟

ربما في «قرن بامية».. وسيكون ممكناً التوصّل إلى استنتاج أنّ الطعام مُنتَج اجتماعي ذو دلالات استقلالية في شخصية المكان، وهو مقترن في حالة ديرالزور بالبذخ المعتمد على الوفرة، وسيصعب ربط ثمرة صغيرة مزغبة بمكان معقّد، مالم يكن في المبدأ ثمة إدراك أنّها أداة تفرّد في معناها الجغرافي، وفي صورتها النهائية كتفصيل من رمزية تُشير تحديداً إلى ديرالزور دون غيرها.

الأمر ليس بسيطاً إذاً كما يبدو، هناك قرار اجتماعي يلتزم به أبناء المكان، بمن فيهم ذاك «الثابت المتغير» الذي أشرنا إليه سابقاً، وقرن البامية هذا هو حلّ ممكن لسؤال التفرّد الذي يتيح له فهم بقاء مدينة مدمرة قادرة على إنتاج رغبة أهلها بها.

ربما في جسر معلّق.. هذا ليس شيئاً صنعه الديريون، لكنهم أنتجوا حكايته حتى موته. الجسور المعلّقة ليست هندسة استثنائية، وهو أحدها، بل إنه من تلك الفئة الأقلّ تعقيداً في بنيتها الهيكلية، والتي تعتمد على تكرار منتظم في توزع القوى، أتاح له ثباتاً طويلاً، حتى سقط مع المدينة كومة من الحديد والحجارة.

أين سرّه؟ هو في دلالاته المدينية، فهو أول الدير من جهتها الخصيبة، ولكونه بلا مثيل في سوريا، فقد أنتجت ديرالزور حوله شخصيته المستقلة، فهو في ذاته معشوق حامل للعشق، وهو شرفة عالية على نهر تتيح استعراض اتساع النهر من وجهة نظر ولد يُحلّق لثوانٍ قبل أن يلتحم بالفرات، لا مكان في ديرالزور يمكنه تقديم صلة بين أقانيم الأرض والهواء والماء مثل الجسر المعلّق.

لكنّ استحضاره، كرمز متعيّن يُمكن تكثيف ديرالزور به في اغتراب شخص، لا يكون بتصوره موجوداً، بل بلحظة سابقة على متنه المتأرجح مع الريح والخُطى. وهو في صورته تلك يضغط الوجد المديني بين نهايتين متساويتين، تمدّان حبالهما على مجهول من ماء وأسرار.

ربما في شارع ستة إلا ربع... إنّه سوق عادي جداً، صفّان من المحلات على جانبي حارة ضيقة وملتوية تعجّ بالمتسوقين، وبأكثر منهم من صيادي البهاء العابر، لكنّه تمايز في كونه تمرد اجتماعي ذكي على رسميات الأسماء الحصيفة، لديه اسم في بطاقة هويته السورية، غير أنّ أحداً لا يكترث لهذا، وفي الواقع فالاسم «ستة إلا ربع» هو أسطورة محدثة لها تأويلات شتى، وهي أيضاً موضع عدم اكتراث، لأن المدينة تبنّت وجوده كتعبير حضري عن مزاج المتعة المستقل، والواقع أن متعة السير فيه تنبع من فرادة اسمه أولاً، ومن شبه مثيولوجيا حداثوية تقول إن الجميلات يُصبحن أجمل بين جنباته.

وبالنسبة لديري هائم في أصقاع الأرض، ستتكثف المدينة عند ستة إلا ربع كطرفة عين، بسرعة الضوء من جميلة تقرأ ملامحه ثم تمضي، وتتركه أكثر تحضّراً بثانية أو ثانيتين من الفرح.

هل وجدنا حلول معادلتنا؟ ديرالزور المدمرة البائسة يُمكن طبخها، والتأرجح على حبالها، بل وترميم ألواح ميثيولوجياتها المدينية... غير المفسرّة.

في الرقة ودير الزور يستعد النظام لإكمال سيطرته

معاوية حماد

في يوم (16) من شهر نيسان، خرجت في مدينة الرقة، الخاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية (قسد) المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، مظاهرة مؤيدة لنظام بشار الأسد وضد الوجود الأمريكي في سورية. وعلى الرغم من أن المظاهرة لم تدُم إلا دقائق قليلة، ولم يتجاوز عدد المشاركين فيها (50) شخصاً معظمهم نسوة وأطفال، إلا أنها حدث بالغ الأهمية، في الوقت الذي تتصاعد فيه حالة الاستياء العام لدى السكان الغاضبين من تدمير منازلهم، نتيجة العملية العسكرية التي أطلقها التحالف الدولي ضد تنظيم داعش ربيع وصيف العام الفائت، وبلا أي وعود أو أمل بتعويضات تُساعدهم على إعادة بنائها أو ترميمها.

سبقت المظاهرة التي حرضت عليها، بلا ريب، خلية أمنية تتبع للنظام حوادث أخرى، كان أبرزها إعلان ميليشيا «لواء الباقر» المدعومة من الحرس الثوري الإيراني «بدء العمليات العسكرية والجهادية ضد الاحتلال الأمريكي ومن يتحالف معه في سوريا» وفق بيان أصدرته الميليشيا، وإعلان تأسيس «المقاومة الشعبية في المنطقة الشرقية» التي نشطت خلال الأسابيع الأخيرة، بحملة رفع أعلام وكتابات حائطية تؤيد النظام وتتوعد «قسد» والأمريكيين في مدينة الرقة.

تدل هذه الأحداث وغيرها على تحول في طريقة تعاطي النظام وحلفائه الإيرانيين خاصة والروس مع الوجود الأمريكي، بأخذهم زمام المبادرة لتغيير خارطة السيطرة في المنطقة الشرقية، رغم الفشل الذريع الذي مُنيت به أولى محاولاتهم الجادة لتحقيق ذلك، متمثلة بالهجوم الفاشل في شهر شباط الماضي على معمل معالجة الغاز المعروف ب (كونيكو) الخاضع لسيطرة «قسد»، والذي شنته قوات مشتركة تضم مقاتلين مرتزقة وجنوداً نظاميين «روس» وميليشيات شيعية تابعة للحرس الثوري، بإسناد ناري ثقيل من قوات النظام في الخلف.

وجاءت تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن نواياه بسحب قواته في وقت قريب، وقراره تجميد أموال مخصصة لسورية، لتشجع النظام وحلفاءه على المضي قدماً بتكثيف أنشطتهم المتنوعة ضد الأمريكيين وضد «قسد»، وتكثيف استعداداتهم أيضاً لبسط سلطتهم على المناطق الخارجة عن سيطرتهم في محافظتي الرقة ودير الزور. ولم يكن استثناء مواقع قوات النظام وحلفائه الإيرانيين في دير الزور من قائمة الأهداف العسكرية التي طالتها الضربة الأمريكية الفرنسية البريطانية، العقابية على هجوم الغوطة الكيماوي، سوى دليل إضافي عزّز الثقة لدى النظام وحلفائه بقدرتهم على تنفيذ ما يطمحون إليه في الشرق السوري. وكذلك تعزيز ثقتهم بالأساليب والأدوات التي اعتمدوها إزاء ذلك. مستغلين نقاط ضعفٍ تُعاني منها «الإدارة الذاتية الكردية»، وهي الجسم المدني الحاكم في منطقة السيطرة العسكرية لـ «قسد».

إدارة ذاتية عاجزة

فشلت الإدارة الذاتية بالظهور مستقلة عن تأثير حزب الاتحاد الديمقراطي (pyd)، الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني في تركيا، وفي تبديد الهواجس والشكوك حولها، بأنها مجرد أداة يستعملها (pyd) لتحقيق أهدافه الانفصالية. ولم تنجح في تغيير الانطباع العام السائد عنها بأنها مشروع هيمنة كردي على السكان العرب، الذين يشكلون أغلبية ساحقة في محافظتي دير الزور والرقة. لتبدو في المحصلة سلطة أمر واقع غريبة، يمكن للناس الباحثين عن حد أدنى من السلم والأمان التعايش معها إلى حين تتغير الظروف، بحيث تستعيد المجتمعات المحلية عافيتها ولو بالحد الأدنى، بعد إنهاك طويل بفعل الحرب والأزمات المتعاقبة منذ العام 2011.

واليوم وبعد أكثر من عام على تأسيس مجلس الرقة المدني، وأكثر من ستة أشهر على تأسيس مجلس دير الزور المدني، وهما منظومتا الحكم المحليتين اللتين أنشأتهما «الإدارة الذاتية» في الأجزاء التي تسيطر عليها من المحافظتين. لا يبدو أن المجلسين قادران، وإن بدرجتين مختلفتين، على الاضطلاع بالمهمات الموكلة إليهما، والتي تتلخص بتوفير الخدمات الأساسية للسكان، وإصلاح البنى التحتية المدمرة، وتوفير فرص عمل، وإطلاق عجلة الإنتاج الزراعي.

وفي الجانب العسكري تلاشت خطط القادة العسكريين الكرد بتحويل «قسد» إلى جيش، بل وفشلوا في تحويلها إلى جسم عسكري متماسك وصلب باستثناء الوحدات الكردية فيها، والتي لا تعدو عن كونها ذراعاً عسكرياً لحزب الاتحاد الديمقراطي (pyd).

وكشفت حوادث اغتيال ومحاولات اغتيال لشخصيات لعبت أو تلعب أدواراً عامة، لا سيما في محافظة الرقة، فضلاً عن حالة انفلات أمني عامة ظهرت في دير الزور بصورة أوضح، عن قصور كبير في عمل الأجهزة الأمنية التي أنشأتها «الإدارة الذاتية».

إن جوانب العجز والتعثّر تلك، وبغض النظر عن أسبابها المختلفة التي تتحمل الولايات المتحدة المسؤولية في بعضها، وتتحمل «الإدارة الذاتية» المسؤولية في البعض الآخر، تساهم في ترسيخ حالة الاضطراب التي تعاني منها المنطقة. وتُضعف وإلى حد كبير من درجة الثقة لدى السكان بمنظومة الحكم المحلي الناشئة، وتجعل بقاءها وديمومتها وقدرتها على الصمود أمام التهديدات المتعاظمة من قبل النظام وحلفائه في موضع شك.

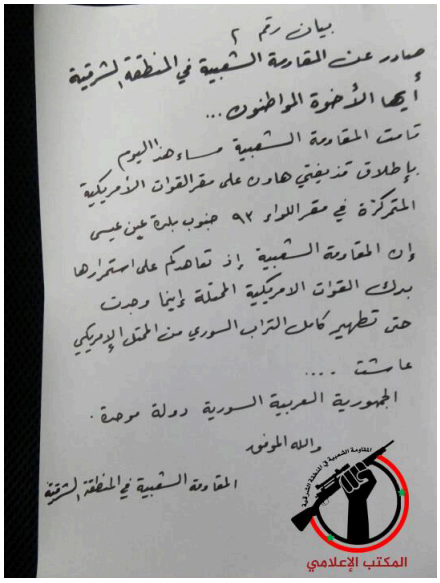

من صفحة المقاومة الشعبية في المنطقة الشرقية

المرسوم ٦٦ وتأثيرات امتداده على مستوى البلاد

تتواصل النقاشات الدائرة بخصوص المرسوم التشريعي السوري 66، وتوسِعته مؤخراً، وموافقة البرلمان عليه في كانون الثاني 2018، لينتظر التطبيق على بقية أنحاء البلاد.

جوزيف ضاهر*
عن موقع Atlantic Council
7 آذار
ترجمة مأمون حلبي

المرسوم 66 الذي رأى النور ابتداء من أيلول 2012، يسمح للحكومة بإعادة تصميم المناطق السكنية غير المرخصة، وتضع مكانها مشاريع عقارية «حديثة» تمتاز بخدمات نوعية. التوسِعة المحتملة قد تكون لها تبعات هامة على عملية إعادة الإعمار، وتوطيد السلطة السياسية والاقتصادية للنظام عن طريق أصحاب رساميل مرتبطين به، وفي الوقت نفسه تقديم حصة من السوق للحلفاء الأجانب مكافأة لمساعدتهم.

في البداية سمح المرسوم الذي أصدره الأسد لمحافظة دمشق بطرد سكان منطقتين كبيرتين، من ضمنها بساتين الرازي في المزة، حيث مشروع مدينة (ماروتا سيتي) العقاري قيد الإنشاء. المنطقة الثانية تتضمن القنوات والبساتين وداريا والقدم، ومساحتها 880 هكتاراً وتعادل10 % من مساحة دمشق، وحُدد عام 2018 كتاريخ لإخلائها من السكان.

ينتمي غالبية سكان هذه المناطق إلى الطبقة العاملة والوسطى الذين كانوا يعيشون قبل ذلك في مناطق ريفية، ثم هاجروا إلى المدينة. يهدف المرسوم، وفقاً للسلطات السورية، إلى تحسين ظروف السكان المعيشية عن طريق إزالة المباني المشيدة عشوائياً، وإحلال مبانٍ مريحة وحديثة مكانها. إلا أن المرسوم اختار منطقتين ساندتا المعارضة، في حين أن مناطق يسكنها أنصار النظام -شروط السكن فيها ليست أفضل حالاً- لم يتم المساس بها.

يستمد المرسوم الإلهامَ من بعض جوانب المخطط التنظيمي لمدينة دمشق عام 2007، الذي لم يُطبق بسبب الانتفاضة الشعبية في آذار 2011. كانت هذه المنطقة وما زالت تُعتبر فرصة عقارية مربحة جداً، بسبب الأراضي الزراعية والسكن العشوائي، وقربها من مركز مدينة دمشق. برامج خطة إعادة الإعمار الرامية لبناء 12 ألف وحدة سكنية تستوعب 60 ألف شخص، والمتوجهة بشكل رئيسي إلى العائلات المرتفعة الدخل في الأحياء القريبة من بساتين الرازي، هذه البرامج تمت إعادة تسميتها (ماروتا سيتي). تشتمل عملية إعادة الإعمار على مدارس ومطاعم ودور عبادة، وحتى بناء متعدد الطوابق لرَكن السيارات، ومركز للتسوق. وتقول السلطات السورية أن هذا المشروع سيخلق 110 آلاف فرصة عمل و27 ألف عمل دائم.

تطوير المشاريع السكنية التي يمكن أن تُبنى في مناطق خاضعة للمرسوم 66 سيُنفذ من قبل شركات قابضة تمتلكها المحافظات أو البلديات، لكن بناء وإدارة المشاريع سيتم على الأرجح تعهيدها إلى شركات القطاع الخاص التي يملكها مستثمرون لهم صلات قوية بأصحاب النفوذ. في حالة مشروع (ماروتا سيتي) ظهرت عدة شخصيات جديدة من رجال الأعمال لهم روابط قوية مع النظام. أهم شخصية صاعدة هو سامر فوز، الذي أصبح على مدار فترة الحرب أحد أقوى رجال الأعمال في البلاد، وكان والده مقرباً جداً من حافظ الأسد. شخصيات تجارية ومنظمات أخرى استفادت أيضاً من العقود المربحة مع شركة (دمشق الشام القابضة)، التي ستأخذ على عاتقها إدارة وتشييد واستثمار أشغال هذه المنطقة: مازن ترزي، مجموعة طَلس، شركة أكسيد للتنمية والاستثمار.

قد تكون مدينة حمص المكان التالي لاستثمارات مشابهة. تركز خطة إعادة الإعمار فيها على ثلاث من مناطق المدينة الأكثر دماراً -بابا عمر، السلطانية، جوبر- وستعيد إعمار 465 مبنى، يمكنها إيواء 75 ألف شخص بكلفة 4 مليارات دولار. وتستمد هذه الخطة الجديدة إلهامها من مشروع «حلم حمص» المنطوي، الذي أوعز به محافظ حمص السابق إياد غزال. رفضت قطاعات هامة من السكان المحليين مشروع غزال لأنه لم يضمن للسكان الحق ببقائهم في المنطقة، واقترحت بلدية حمص عوضاً عن ذلك سكناً بديلاً في منطقة أخرى أو «تعويضاً مالياً».

كثيرٌ من سكان بساتين الرازي اشتكوا من خطط إعادة الإعمار وغياب سكن بديل مناسب، واشتكى من البدائل العاجزون عن تحمل أعبائها.

إضافة إلى هذه المشكلات، تبدو عودة المدنيين إلى المناطق المتأثرة بعمليات إعادة الإعمار الحالية أكثر صعوبة، بسبب إجراءات متعددة تطلبها مؤسسات النظام الأمنية. على المرء أولاً أن يمتلك المستندات الضرورية ليتمكن من الوصول لممتلكاته المدمرة، لكن الحرب أتلفت كثيراً من السجلات العقارية. وقسمٌ كبير من النازحين فقدوا مستندات الملكية، وحتى أولئك الذين يمتلكون المستندات الضرورية غالباً ما يجدون صعوبة في الوصول إلى ممتلكاتهم، لأن عملية الدخول إلى مناطق النظام تحتاج لأذونات دخول من فروع الأمن من أجل عبور الحواجز. هذه العملية تعني الابتزاز والرشاوى واحتمال الاعتقال. أيضاً مطلوب من السكان دفع فواتير الكهرباء والمياه والهاتف عن سنوات غيابهم أثناء الحرب، وهي تعادل تقريباً 50% من قيمة ممتلكاتهم، ناهيك عن أن ناشطي وأنصار المعارضة ليسوا في وارد العودة خشية الاعتقال والتعذيب.

يمكن للمرسوم 66 أن يُستخدم كأداة فعالة من أجل مشاريع تطوير كبيرة وسريعة يستفيد منها أزلام النظام، وفي الوقت ذاته يعمل كآلية عقاب ضد السكان المعروفين بمعارضتهم للنظام، والذين من المرجح أن يحلّ محلهم طبقات اجتماعية أرفع، ونُخب حرب جديدة أقل مَيلاً للثورة ضد النظام.

* أكاديمي سويسري سوري الأصل يُدرس في جامعة لوزان

محافظ دير الزور يأمر بالقاء القبض على "المعفشين"

ضياء الخطيب

محافظ دير الزور الذي أغاظ شبيحة الغاب وأدهشهم

من حيث لا يدري، أثار محافظ دير الزور الجديد عبد المجيد الكواكبي غضب مؤيدي النظام، حين ظهر في مقطع مصوّر تناقلته الصفحات الموالية، وهو يأمر أثناء جولة في شوارع مدينة دير الزور، بإلقاء القبض على جنود وعناصر ميليشيات كانوا يحملون أبواباً وشبابيك وأثاثاً منزلياً، ومسروقات أخرى من الأبنية السكنية في المدينة.

ضياء الخطيب، وهو واحد من أشهر قادة الشبيحة في سهل الغاب، شارك المقطع على صفحته الشخصية في فيسبوك، مُفسحاً المجال لأصدقائه ليُبدوا آراءهم. فتتالت التعليقات الساخطة على المحافظ بأسلوبه الاستعراضي، وطُغيانه على «عسكري فقير» واستخفافه بمن «شال روحه على كفه، وكان ميقاتل بالبرد والحر والجوع، وقت كان المحافظ لازق بمرته تحت المكيفات». لقد نسي المحافظ، حسب ما رأى الشبيحة الغاضبون، أن «هاد العسكري المسكين حمل البارودة وقاتل واستشهد ومات ألف موتة...ومانو ميسرق، ومانو ميعفش، هادا مياخد حقه وأقل من حقه بس»، وإن كان هناك من حرامي في الحكاية كلها فهو المحافظ وقائد الشرطة والوزير.

حسب الفتوى غير الدينية التي يؤمن بصوابها جميع شبيحة النظام وثلاثة أرباع مؤيديه، يُباح بل يُستحبّ لأي «حامل بارودة كان بالجيش أو بالقوات الرديفة» بنهب ما يشاء في المدن والقرى والبلدات التي يحتلها النظام، فممتلكات الناس هناك، وأرواحهم حتى، شأن ثانوي في القضية، حسب وعي الشبيحة وميزانهم الأخلاقي، وتدخّل المحافظ بوصفه ممثل لسلطة النظام الشكلية في بديهيات مثل نصيب العسكري في الغنائم- وقاحة محضة، وتعدي على الحقوق، ومخالفة لما شرعته سلطة النظام الفعلية.

ضياء الخطيب الذي نفّذ إعدامات ميدانية بحق العشرات في القرى المنتفضة على النظام في ريف حماة، وامتدت جرائمه لتطال أبناء طائفته بقتل رجل في الستين من العمر في منزله، وخطف آخرين من بلدته سلحب وبيعهم لعصابات أخرى- كان جريح الوجدان لسبب إضافي، غير حرمان العساكر من غنائمهم، وهو مشهد ضمن فيديو المحافظ، جرّ فيه ضابط شرطة لصاً يرتدي بدلة عسكرية، فكتب يتساءل «كيف نزلو للعسكري هاد الضابط الجحش من الشرطة، منظر بشع.. وما بعرف هالمقطع قمة القذارة، بدلة النجاسة تضرب بلدة الطهارة.. يا لطيف»

في أدبيات الشبيحة هنالك مظلوميتان معلنتان، مظلومية العسكري الفقير/ مقابل محاباة «المسؤولين» للأغنياء، ومظلومية العسكري المخلص للوطن/ مقابل محاباة المسلّحين «الخونة»، وللتنويع عن الأولى نكأ بعض المعلّقين جرح المظلومية الثانية، متسائلين كيف سيستقبل هذا المحافظ العائدين بموجب المصالحة؟

ما يصدم الشبيحة، ويخرب تسلسل عقولهم المنطقي، محاولات بعض مسؤولي النظام، وبموجب أوامر أعلى، لملمة حطام صورة الدولة، التي يحرص النظام بين حين وآخر أن يُذكّر أتباعه بها، لكي يحافظ على مسافة بينهم وبينه، بعد ظنهم أنهم مع النظام في عصابة واحدة.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

/3aynAlmadina
@AynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP

مخيم الركبان

شبكة تدمر الإخبارية - خاص عين المدينة